أعمال "السلطانة مهرماه" الخيرية

"السلطانة مِهْرِمَاهْ" تُنافِسُ الآخرين على نيل الثواب والأجرِ

لقد بذلتِ السلطانة مِهْرِمَاهْ -الابنةُ الحبيبةُ والوحيدةُ للقانونيّ- جهدًا وافِرًا طيلةَ حياتها في بناءِ المؤسَّساتِ الدينيّةِ والاجتماعيّة، وكأنَّها كانت في هذا الأمرِ تنافسُ أهلَ البرّ والخير، وكانت تهدُفُ من خلالِ هذا السعي والجهدِ إلى نَيلِ رضوانِ الله تعالى وإدراكِ شفاعةِ نبيّه ﷺ، وكذلك رغبةً منها في القيامِ بخِدمةِ وطنِها الذي تُكِنُّ له حبًّا لا يوصف، فقد ساهمت "السلطانة مِهْرِمَاهْ" في عملِ الخيرِ بإنشائِها مجمَّعَين خيريّينِ، الأوَّل على ساحل منطقة "أسكودار" والثاني في منطقةِ "أَدِرْنَه قَابِي".

مجمّع "السلطانة مِهْرِمَاهْ" في "أسكودار"

وفي لائحةِ الوقفِ المكتوبةِ باللغةِ التركيّةِ التي تخصُّ المجمَّع الخيريَّ الذي أنشأته "السلطانة مِهْرِمَاهْ" في "أسكودار" والتي سُجِّلَتْ بعد مرورِ ثلاثِ سنوات من انتهاءِ بنائِه، نجدُ في الصفحةِ الثالثةِ من تلكَ اللائحةِ هذه الأشعار:

"لا تاجَ ولا عرشَ ولا ملكَ ولا مالَ،
لا جاهَ ولا وجاهةَ ولا فضلَ ولا كمال ينجي الإنسان من الموت.
إن الله خلقَ العالمَ وكتبَ عليهِ الفناءَ
كل مخلوق لا ريب أنه يفنى
وكل متسامح لا يندم في الآخرة

الصفحة الأولى في لائحة وقف "السلطانة مِهْرِمَاهْ"

(أرشيف وزارة الأوقاف، رقم-K/٢٨)

سيذهب الجميع ولن يبقى أحد على وجه الأرض لأن الأجل سيأتي لا محالة فلا باقي إلا الله ﷻ"(٢٣٦)

* * *

وقد أُنشئتِ البناياتُ الموجودةُ في المجمّعِ -المقامِ على سفحِ هضبةِ السلطانِ- على نحوٍ متفرّقٍ فنجدُها موزَّعَةً من الشمالِ إلى الجنوبِ، وأما جامعَ الميناءِ -الواقعِ عند نقطةٍ مشرفةٍ ومطلّةٍ على الميدان- فإننا نجدُه في الكتاباتِ القديمةِ يُذكَرُ بصورةٍ أوسعَ تحتَ اسمِ جامعِ "السلطانة مِهْرِمَاهْ"،(٢٣٧) ويتَّضِحُ لنا من الكتاباتِ القديمةِ أنَّ المسافةَ التي كانت بين الجامعِ والبحرِ أقلُّ مما هي عليهِ الآن، وفي المصادر القديمةِ نجدُ عبارةَ الضفافِ والتي يُفهَمُ منها أن هذا الجامعَ قد أُنشِئَ على ضفافِ البحرِ، وبناءً على إحدى الرواياتِ التاريخيَّةِ فقد وَطِئَتْ قدما السلطان "القانونيّ" الأرضَ في النقطةِ الواقعةِ أمامَ سلالمِ الجامعِ حين وصلَ شاطئَ "أسكودار" بقاربِهِ السلطانيّ لحضورِ مراسمِ افتتاحِ الجامعِ(٢٣٨).

ويذكرُ لنا كذلك "أوليا شلبي" في كتابه المعروفِ ما يلي:

"كان يتمّ الدخولُ إلى حَرَم هذا الجامعِ الواقعِ على ضفافِ البحرِ من خلالِ سلالمَ حجريّةٍ على الجانبين."

* * *

(٢٣٦) إسماعيل حقي قُونْيَالِي (*Konyalı*)، تاريخ "أسكودار (*Üsküdar*)" مع الآثار والكتابات المدونة، إسطنبول - ١٩٧٦م، الجزء الأول، ص ٢٣١.

(٢٣٧) يأتي ذكر جامع "السلطانة مِهْرِمَاهْ" في حفريات " الوم (*Allom*) " حيث يتميز هذا الأثر بأنه ملاصقٌ للبحر.

(٢٣٨) الآثار التي استخرجت من حفريات جامع الوالدة الجديدة " السلطانة جولنوش (*Gülnuş*) " والذى شيد عام (١٧١٠م) تم إلقائها في البحر جهة ساحل منطقة "أسكودار"، لقد أقيم سيل ميدان الميناء والذي يتمتع بجمال بديع من قبل السلطان " أحمد الثالث " عام (١٧٢٨م) في هذه الساحة التي أصبحت ممتلئة حيث إن التخطيط الأخير لهذا الميدان والذى نجده عليه اليوم قد تم –في العصر العثماني- في عهد السلطان " أحمد الثالث "، وفي عام (١٩٧٠م) وفي أثناء إقامة قناة إلى جوار سبيل الميدان الذي يوجد اليوم استخرج من الأرض وعلى عمق مترين رمال بحر وأصداف محار بحرية، ("م. نَرْمِي حَصْكَانْ (*Nermi Haskan*)"، أسكودار على مر العصور، إسطنبول - ٢٠٠١م، الجزء الأول، ص ٢٦٥) أما الأقسام ذات المنحدر النازل - والتى كان يوجد معها السقف الذي يظهر في الحفريات القديمة – التي تقع بين السبيل والجامع فقد تم عملها في عهد السلطان (سليم الثالث).

النص العربي المكتوب على الباب الرئيس لجامع السلطانة مهرماه والواقع فى منطقة أسكودار

أسس بنيان هذا المسجد الجامع المشيد الأركان صاحبة الخيرات والحسنات درة تاج السلطنة العظيمة الشأن عصمة الملك والدنيا والدين خانم سلطان(*) خصها الله تعالى بمزيد الإحسان بنت خاقان الخواقين في الخافقين سلطان السلاطين في المشرقين عامر معمورة الأرض بالعدل والإحسان مؤسس بنيان الأمن والأمان لأهل الإيمان السلطان بن السلطان السلطان سليمان خان بن السلطان سليم خان خلّد خلافته خلود الزمان وتمّ بمنة المنان في شهر ذي الحجة الحرام من شهور سنة أربع وخمسين تسعمائة من هجرة النبي

(*) لم يذكر في الكتابة المدونة اسم "السلطانة مِهْرِمَاهْ" التي أمرت بتشييد الجامع، وقد ذكر بعض صفاتها فقط حيث إن التقاليد الإسلامية لا تفصح في أغلب الأحيان عن أسماء السيدات سواء في الكتابات المدونة أو في سجلات الأرشيف وذلك كتعبير عن التوقير الكبير والاحترام الموجه نحو المرأة.

إن الكتابةَ التي كُتِبَتْ باللغةِ العربيّةِ الموجودةِ على البابِ الرئيسِ الواقعِ في ميدانِ "أسكودار" تُشيرُ إلى أنَّ الأثرَ قد أُنشئ من قِبل "السلطانة مِهْرِمَاهْ" ابنة القانوني في شهر ذي الحجة / يوليو سنة (٩٥٤هـ/١٥٤٨م).

براعةُ المعماريِّ "سِنَان" في هذا الأثرِ

وقد كانت معاصَرَةُ "السلطانة مِهْرِمَاهْ" فنانًا كبيرًا بمستوى المعماريّ "سنان" فرصةً ثمينةً بالنسبةِ للسيّدةِ السلطانة.

لقد أنشَأ المعماريّ "سنان" مجمّع "السلطانة مِهْرِمَاهْ" -والذي كان واحدًا من أوائلِ المجموعاتِ المعماريّةِ الهامّةِ التي شيَّدها- بالتزامنِ مع إنشاءِ مجمَّعَ "الأميرِ محمد"، حيث بدأَ بهذه المهامّ المعماريّة بعدَ أنْ أصبحَ كبيرَ المهندسين المعماريّين، وقد ضمَّ مجمّع "السلطانة مِهْرِمَاهْ" عِدَّةَ أقسامٍ مثل الجامعِ والمدرسةِ الدينيّةِ ومدرسة للأولادِ ودارٍ لإطعامِ المحتاجين،[٢٣٩] إلى جانب المطبخِ وخان، وإلى جوارِ هذه المنشآتِ فقد كانت هناك أيضًا أعمالٌ أخرى ملحَقَةٌ بالمجمّع مثلَ قنواتِ المياهِ والسبيلِ والمخزنِ والخلاءِ، ونجدُ أنه في الفتراتِ اللاحقةِ قد أضيفَ إلى المجمَّعِ قبرينِ إلى جانبِ حمامٍ مزدوجٍ يُرجّحُ أنه كانَ موجودًا قبلَ إنشاءِ هذين القبرين، كذلك نجدُ الكتاباتِ القديمةَ تشيرُ إلى وجودِ قصرٍ خشبيٍّ وغرفةٍ صغيرةٍ لتحديدِ أوقاتِ الصلاةِ، لكن تعاقبَ الزمنِ ومرورَ الأيامِ أتلفَ هذه الآثار فاندثرَ المطبخُ الخاصُّ بإطعامِ المحتاجين وكذلكَ الخانُ والقصرُ وغرفة تحديد الصلاة ولم يبق منها شيء[٢٤٠].

* * *

(٢٣٩) حيث كانت لائحة العمل بهذا المكان تقضي بتقديم الطعام لطلاب المدرسة وموظفي الجامع والفقراء والمسافرين ذهابًا وإيابًا والضيوف.

(٢٤٠) إسماعيل أُورْمَانْ (*Orman*)، " مجمع السلطانة مِهْرِماه "، الموسوعة الإسلامية، هيئة الديانة التركية، إسطنبول – ٢٠٠٥م، الجزء الثلاثون، ص ٤٠.

قام "سِنَان" بوضعِ حجرِ الأساسِ من أجل بناءِ الجامعِ على ساحلِ "أسكودار" الذي يُمَثِّلُ أحدَ المعابرِ الهامةِ في العاصمةِ، وبذلك يكونُ المعماريُّ "سِنَان" قد حافظَ على طابعِ إسطنبولَ كمدينةٍ نموذجيّةِ التصميمِ، أما الدخولُ إلى فناءِ الجامعِ فيتمُّ من خلالِ الأبوابِ الأربعةِ التي يُشْرِفُ أحدُها على شارعِ "سلمان آغا" والثاني على "ميدان الميناء" والثالث على شارع "ميناء الباشا" والرابع على المدرسةِ الدينيّةِ، وفي وسطِ فناءِ الجامعِ الذي يحيطُ به سور من الحجرِ المقطَّعِ والمنحوتِ توجدُ ميضأةٌ رائعةٌ ذات عشرين وجهٍ مصنوعةٌ من الرخام واقعةٌ في مواجهةِ البابِ الرئيسِ الفخمِ الخاصِّ بالجامعِ، وتعلو هذه الميضأةَ شبكةٌ من الزخارفِ الهندسيّةِ، وهذه الشبكةُ يلفُّها من الأعلى إطارٌ عريضٌ يصوّرُ زهرةَ السوسنِ، ويعلو ذلك كلَّهُ إطارٌ أسود مستديرٌ حولَ الميضأة مرصّعٌ بالرصاصِ، ولا يفوتنا أن نذكرَ أنَّ هذه الميضأةَ تُعْتَبَرُ واحدةً من أكثرِ الأماكنِ المخصَّصةِ للوضوءِ راحةً وتجهيزًا في إسطنبول.

* * *

وفي مكان الصُّفّة بجامع "السلطانة مِهْرِمَاهْ" نجد رواقًا ذا خمسِ قِبابٍ تحملُها ستةُ أعمدةٍ من الرخام، وأمامَه نجدُ مظلَّةً منكَّسةً إلى الأسفل وواسعةً للغايةِ، وقد صُمّم القسمُ المسقوفُ من هذا الجامعِ كي يَقِيَ من سيتعبدون في صُفّةِ الجماعة من الظروفِ الجويةِ القاسيةِ؛ حيث إنَّ الجامعَ كان قد أُنْشِئَ على مقربةٍ شديدةٍ من البحر، ولم تكن هناك إمكانيّةٌ لعملِ فناءٍ ذي رواقٍ كلاسيكيٍّ بسببِ ضيقِ المساحةِ الساحليّةِ التي بُنِيَ عليها الجامعُ.

* * *

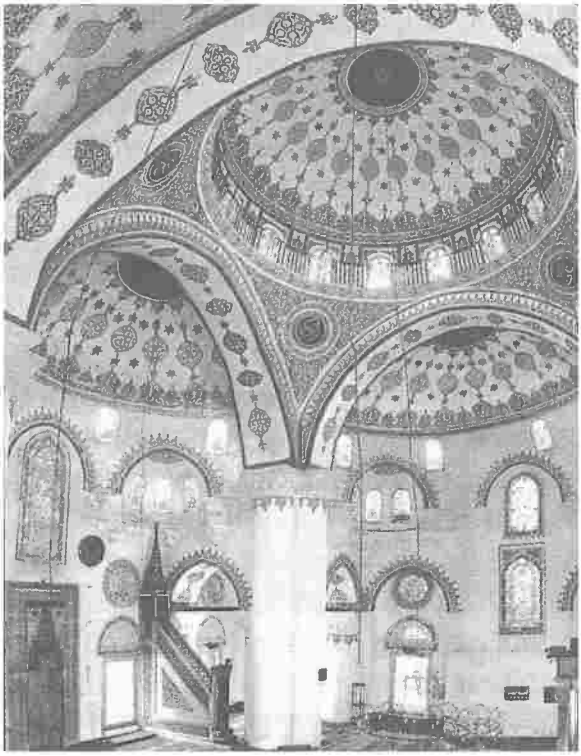

منظر داخلي لجامع "السلطانة مِهْرِمَاهْ" (أسكودار/إسطنبول)

وقد كتبَ شخصٌ يدعى "عثمان جلبي" بيتًا من الشعر باللغة العربية وبخط النسخ -عام (١٦٠٩م/١٠٢٠هـ)- على السوارِ المصنوعِ من النحاسِ الأصفرِ والموجودِ على العمودِ الرخاميّ الأخير، ذي القبّةِ الواقعِ إلى اليسارِ من مكان الصُّفّة:

"لا يشعر فؤادك بالحزنِ بسببِ ضيقِ الرزقِ
إن الرزق فقط عند الله الكريم"

أما على العمودِ المجاورِ لهذا العمودِ الرخاميّ الأخيرِ فقد كُتِبَتْ الجملةُ التاليةُ "في الثاني من محرم عام (١٠٧٠هـ) ذهب السفراء إلى الشاه" ويوافق هذا التاريخ بالتقويم الميلادي عام (١٦٥٩م). (٢٤١)

وهذا التاريخُ الذي يشيرُ إلى إرسالِ سفراءَ في عهد "السلطان محمد الرابع" إلى شاهِ إيرانَ في الثاني من محرّم سنة (١٠٧٠هـ) نجده كذلك مدونًا ومثبّتًا في المصادرِ التاريخيّةِ(٢٤٢).

* * *

جامع "السلطانة مِهْرِمَاهْ" من الجوامع ذاتِ المنارتين، كلا المنارتَينِ بهذا الجامعِ لها شُرْفَةٌ واحدةٌ متوجّهَةٌ إلى الأطرافِ الشماليَّةِ من جسم البناء، كذلك نجد أن الأقسام التى تمثل قلب المئذنة بما فيها ما تحتَ الشُّرْفةِ وما فوقها هيَ أقسامٌ متعدّدة الزوايا تقتربُ من الشكلِ الدائريّ، أما الجُدُر الخارجيّةُ الخاصَّة بشرفةِ كلّ مئذنَةٍ فذاتُ حليّ متدلّيَةٍ من السقفِ، في حين أن الأسوارَ الخاصَّة بهذه المآذن تأخذُ شكلَ الشبكةِ أو الغربالِ

(٢٤١) قُونيالي، المصدر السابق، الجزء الأول، ص ٢٢٣.

(٢٤٢) إن " أوليا شلبي " فيما يخصّ الأوقاف يتحدّث عن وجود موظّفين مختصّين بالحفر على الأساور المصنوعة من النحاس الأصفر والتى توجد على الآثار الهامّة مثل الجامع والضريح، كما نجد على الأساور البرونزية كتابات تصوّر لنا الأحداث الهامة مثل زواج السلاطين والأمراء ووفاتهم وذلك في جوامع " السليمانية " و" شاهزاده باشي " وغيرها من الجوامع.

الحجريّ، أما الجزء الأعلى الذي يأخذ صورةَ المخروطِ فنجدُهُ حادَّ الشكلِ متناهي الدقَّةِ، ونجِدُ لكلٍّ من المئذَنَتَينِ بابٌ ينفتحُ على الصُّفّة.

أما بابُ القِبلةِ المصنوعِ من حجرِ الكوفَكِي[٢٤٣] المُقَطَّعِ والمغطّى من أعلاه بطبقةٍ من الرصاصِ فتوجدُ في قمَّتِهِ لوحةٌ منقوشةٌ من الرخامِ الأبيضِ[٢٤٤].

الساعةُ الشمسيَّةُ الموضوعةُ في القسمِ الجنوبيِّ

وعلى الحائطِ الذي في الطرفِ الأيمنِ من بابِ الفناءِ المقوَّسِ والمفتوحِ على شارع "سلمان آغا" توجدُ ساعةٌ شمسيَّةٌ كُسِرَ عقربُها تعودُ إلى عام (١٧٦٩م/١١٨٣هـ)، وهذه الساعةُ -التي تُعْتَبَرُ من أفضلِ الساعاتِ التي استطاعت أن تبقى حتى وقتِنا هذا- تُمَثِّلُ واحدًا من أكثرِ النماذجِ إبداعًا ضمنَ مجموعةِ الساعاتِ الشمسيَّةِ الرأسيّةِ المركّبةِ، وفي الزاويةِ السُّفليّةِ على اليمينِ في القسمِ العلويِّ للوحةِ الرخاميّةِ المثبَّتَةِ على الحائط بسبعة مساميرَ معدنيّة توجدُ كتاباتٌ قصيرةٌ مكتوبةٌ بخطِّ الثُلثِ، أما القسم العلويُّ فنجدُ مكتوبًا عليه:

"أثر "ساعات زاده (*Saatzâde*)" محمد عارف المكلف بضبط الوقت"

أما في الزاوية الجنوبية فنجد مكتوبًا عندها:

"رسمه الدرويش "يحيى محيي الدين" المؤقَّت بالجامع الجديد."

---

(٢٤٣) أحد أنواع الحجارة التي تستخدم في البناء، يشتد صلابةً مع الزمن، وتوجد به فراغاتٌ صغيرةٌ، يسهل تشكيله، خفيف وذو لون فاتح.

(٢٤٤) عبد الله كُورَانْ (*Kuran*)، " مجمع السلطانة مِهْرِمَاهْ في أسكودار "، مجلة جامعة " بُوغَازْإِيجِي (*Boğaziçi*) "، إسطنبول- ١٩٧٥م، الجزء الثالث، ص ٤٤.

الساعة الشمسية في جامع "السلطانة مِهْرِمَاهْ" (أُسكودار/إسطنبول)

وفي السطر الأخير نجدُ عبارة السنّة السلطانيّة (١١٨٣هـ/١٧٦٩م)[٢٤٥].

* * *

وأمام الباب الذي يُفضي إلى هذه النقطة من فناء الجامع يلفت الانتباه وجود منصّةٍ حجريّةٍ، كانت في السابق موجودة بجانب "مرفأ أسكودار الكبير"، ثم نقلت إلى هذا الموضع لاحقًا، فكان السلطان بعد أن يصل إلى "أسكودار" ينزل من قارب السلطنة، ثم يصعد درجات هذه المنصّة الحجريّة الرائعة كي يرتقي إلى سيارته.

* * *

أما بابُ الفِناءِ الذي يُفْضِي إلى شارعِ "سلمان آغا" فنجدُ إلى يمينِهِ ضريحًا صغيرًا، حيث يوجدُ بهذا الضريحِ العديدُ من المقابِرِ التي تعودُ إلى عائلةِ "جاغالا زاده (*Cağalazâde*)"، ومن بينِ الذين دُفِنُوا في تلكَ المقابِرِ قبطانُ البحر "سنان باشا" -أخو زوجِ "السلطانة مِهْرِمَاهْ" وهو نفسُهُ الذي شيَّد جامعًا باسمه في منطقة "بشيكتاش" بإسطنبول أسماهُ جامع "سنان باشا"- كذلك نجدُ قبرَ "زهدي أفندي" الذي كان من أشهر الخطاطين البارعين في عهد العثمانيين، كما يوجد هنا أيضًا قبرُ الشيخ "عبد الرحيم

(٢٤٥) الساعات الشمسية هي ساعات بسيطة ذات مؤشر معدني يأخذ شكلًا يرتبط بحركة الشمس، وهذه الساعات تظهر الوقت عن طريق تغير مكان هذا المؤشر فوق القاعدة الرخامية أو الحجرية أو المعدنية والتى تصنع بطريقة خاصة. وكانت هذه الساعات توضع على حوائط الجامع المواجهة للشمس من أجل تحديد أوقات الصلاة بشكل أكثر دقة. واعتبارا من أول صلاة بعد شروق الشمس وهي صلاة الظهر فقد كانت في الغالب هذه الساعات الشمسية التي توضع في الجوامع تضبط من أجل العمل. وتوجد إلى جوار الخطوط الموجودة بهذه الساعة الموجودة في جامع "السلطانة مِهْرِمَاهْ" كتابة باللغة التركية العثمانية لأسماء الأبراج الفلكية مثل: العقرب والأسد والميزان والسنبلة والقوس والجدي. وأمام خط الظهر في هذه الساعة الشمسية يمكن أن نقرأ بوضوح العبارة التالية "خط الزوال" أما خط العصر فنقرأ أمامه عبارة "خط العصر الأول" و"خط العصر الثاني". ("نُصرَتْ جَامْ (*Nusret Çam*)، الساعات الشمسية العثمانية، أنقرة، ١٩٩٠م، ص ٦٤ – ٦٥).

ميضأة جامع "السلطانة مِهْرِمَاهْ" (أُسكودار/إسطنبول)

أفندي" -والذي كان معروفًا بشيخِ الأباظِيَّةِ أو شيخِ الأصفرِ- والذي يعودُ أصلُهُ إلى مدينةِ "قيصري (*Kayseri*)"[٢٤٦].

بساطةٌ تليقُ ببنتِ السلطانِ

كذلك نجدُ من مزايا جامعِ "السلطانة مِهْرِمَاهْ" أنه لم يخصَّصْ فيه مكانٌ لقبّةٍ نصفيَّةٍ عند مدخلِهِ وذلك على عكسِ التصميمِ الذي نجدُ عليه جامعَ "شَهْزَادَه" -الذى أنشئ في العصر نفسه-.

ويُعتبَرُ هذا الجامعُ أوّلَ الأعمالِ التي ميَّزتْ المعماريّ "سِنَان" من حيثُ تصميمه للمكانِ بناءً على أسلوبِهِ الشخصيّ، فقد أبدعَ وابتدع في عمارةِ المساجدِ العثمانيّةِ فِكرةً جديدةً، وهي ألا تنحصرَ مساحةُ المسجدِ على قدرِ مساحةِ وشموليّةِ القُبَّةِ، بل كانت فكرتُهُ أن يزيدَ من مساحةِ المسجدِ أكثرَ من إطارِ القبّةِ، فلا يتقيَّد حجمُ المسجدِ بحجم قبَّتِه وإنما يتوسَّعُ فيه عرضًا كما يريدُ ويضعُ القبّةَ في الوسطِ دونَ أن يتكلَّف شمولَها للمسجدِ كلِّه، وفعلًا طبَّق "سنان" هذه الفكرةَ على هذا المسجد[٢٤٧].

ونجد القبابَ النصفيّةَ والقبّة المركزيَّة التي تعلو الساحةَ الداخليَّة المربع الشكل محمولةً على أقواس حادَّةٍ مستندةٍ إلى حوائطَ ودعاماتٍ صُمِّمَتْ على شكلِ زهرةِ النفلِ، نلاحظُ أنَّ الساحةَ الداخليَّةَ للجامعِ

(٢٤٦) كان الشيخ "عبد الرحيم أفندي" الذي يقع بيته في منطقة "أسكودار" يأتى أحيانًا إلى حضرة السلطان من أجل أن يفسر له الأحلام، وفي إحدى المرات فسر له هذا الشيخ إحدى الرؤى على النحو التالي: "سيلحق الضرر بجسدكم من قبل جماعة الإنكشارية، وحيث إنه ليس من الممكن أن يتمّ قتلهم جميعًا فعلى الأقل من الممكن أن يتمّ تغيير زيّهم الخاصّ وإزالة كلمتي "اللباد" و"عمامة الإنكشارية" من الوجود، إن هناك إشارةً وتنبيهًا بخصوص هذا الأمر من العالم الغيبي"، بعد ذلك أمر السلطان بإعدام الشيخ قائلًا: "لقد اختلّ عقلُه وأصبح كلامُه مصدرًا للفتنة".
حيث كان هذا في عام (١٦٣٧م). إن الأمر اللافت للنظر هو أن الشيخ "عبد الرحيم أفندي" قد تنبأ قبل مائتي عام من القضاء على طائفة الإنكشارية كيف إن هذه الطائفة ستكون في المستقبل منبعًا للخيانة والفساد اللذان سيهدمان الدولة العثمانية! (هاسكان، المصدر السابق، ص ٢٦٥).

(٢٤٧) " دُوغَانْ كُوبَانْ (*Doğan Kuban*) "، " مجمع مهرماه سلطان "، موسوعة إسطنبول من الأمس إلى اليوم، إسطنبول - ١٩٩٤م، الجزء الخامس، ص ٤٥٦.

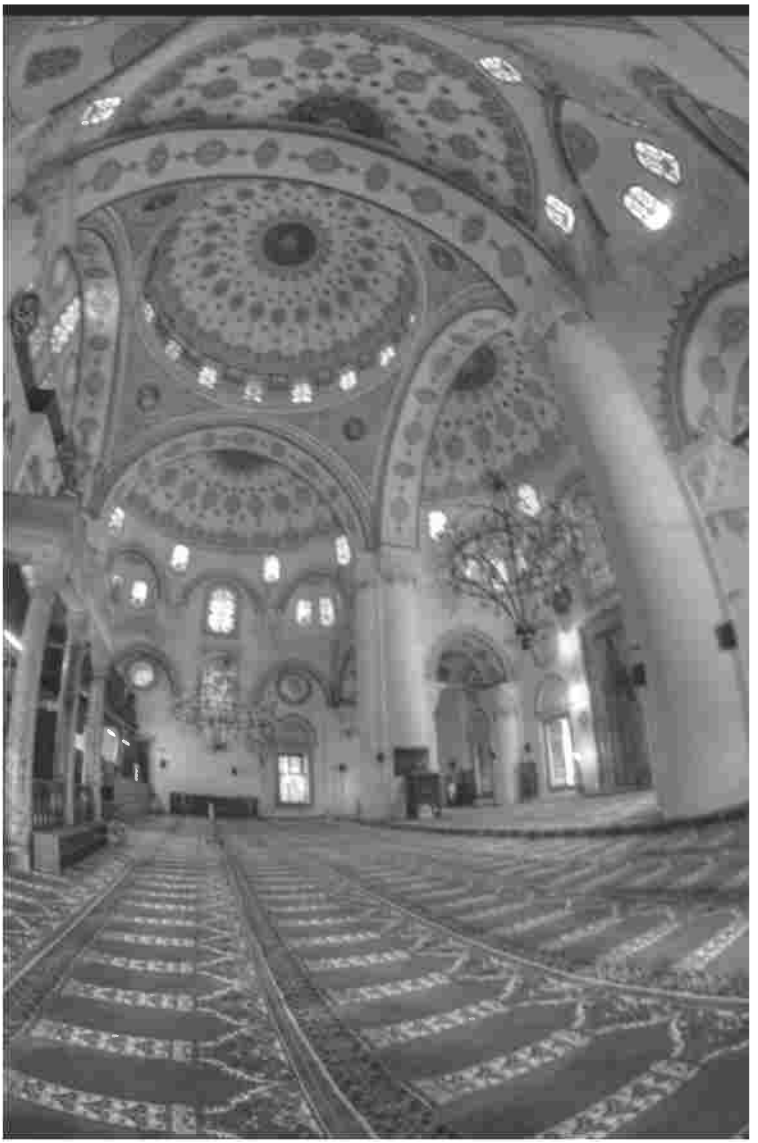

منظر داخلي لجامع "السلطانة مِهْرِمَاهْ" (أُسكودار/إسطنبول)

يغلِبُ عليها الضوءُ الخافتُ إلى أقصى درجة لعدمِ وجودِ عددٍ كافٍ من النوافذِ.

* * *

إن الزخرفةَ الأساسيّةَ التي في جامع "السلطانة مِهْرِمَاهْ" عبارةٌ عن أعمالٍ فنّيّة قد رُسِمت بالقلم، وقد نَجَحت هذه الزخارفُ بأن منحتِ الجامعَ جمالَ وروعةَ رسومِ شرائطِ الزينةِ، ففي وسطِ قبّةِ الجامعِ نجدُ أمامَنا كتابةً تأخذُ شكلَ إطارٍ حيث تبدو تلكَ الكتابةُ ذاتَ لونٍ أصفر -ربما تكون مكسيَّةً بطبقةٍ من الذهب- على خلفيَّةٍ سوداء -بخطِّ الثلثِ الجليّ المستديرِ- على نَمَطِ القرنِ السادسَ عشر(٢٤٨).

وفي قلبِ المساحةِ التي تقعُ بين الإطارِ المحيطِ بالقبَّةِ والأقواس التي تربُطُ القبةَ الرئيسةَ بالقِبابِ الجانبيّةِ؛ توجدُ بكلِّ ركنٍ من الأركان الأربعةِ لوحاتٌ كبيرةٌ مكتوبٌ عليها أسماءُ "أبو بكر" و"عمر" و"عثمان" و"علي" (رضي الله عنهم أجمعين) كما نجد الزجاجَ الملَوَّنَ والأعمالَ الفنّيَّةَ الزجاجيَّةَ موزَّعةً في أماكنَ متعدّدَةٍ من المبنى بحيث تُؤَمِّنُ إضاءةً خاصّةً للقسمِ الداخليّ من الجامع.

* * *

إن الخاصّيَّةَ التي تلاحَظُ في جامعِ "السلطانة مِهْرِمَاهْ" هي البساطة المطلقة، فخارج نطاقِ مبنى الجامعِ يندرُ وجودُ أعمالِ الزينةِ والنقشِ، وأما الحوائط الحجريّة المبنيّة بحجرِ (الكوفكى) -المقطع بدقة عالية وإتقانٍ محكم- فإننا لا نجدُ عليها أيَّ نوعٍ من أنواعِ الزينةِ على الإطلاق، أمّا منبرُ الجامعِ فيُعتبرُ واحدًا من أكثرِ النماذجِ المعبّرةِ عن فنّ نحتِ

(٢٤٨) إلْخَانْ أُوزْكَجَجِي (*Ilhan Özkeçeci*)، نظرة على شكل الزينة في الأضرحة الموجودة بمجمع وجامع "السلطانة مِهْرِمَاهْ" بمنطقة (أسكودار). الندوة الدولية عن "أسكودار". إسطنبول - ٢٠٠٨ م، الجزء الثاني، ص ١٠٢ - ١٠٣.

منظر داخلي لجامع "السلطانة مِهْرِمَاهْ" (أُسكودار/إسطنبول)

الحجرِ، حيث استطاعت الأشكالُ الرخاميّةُ الهندسيَّةُ ذاتُ الشباكِ أن تقدّمَ لنا منظرًا بديعًا في غايةِ الروعةِ والجمالِ.

* * *

كذلكَ يلفِتُ انتباهنا غيابُ أحدِ أشهرِ أشكالِ الزخرفةِ في ذلك العصرِ عن جامع "السلطانة مِهْرِمَاهْ" ألا وهو استعمالُ الخزفِ، فقد بُنِيَ هذا المسجدُ في منتصفِ القرنِ السادسَ عشر وهذه هي ذاتُ الفترةِ التي كان بها فنُّ الخزفِ التركيّ في قمَّةِ تألُّقِهِ وازدهارِه، لذلك فإن غيابَ الأعمالِ الخزفيَّةِ تمامًا عن جامع "السلطانة مِهْرِمَاهْ" يُعتبَرُ دليلًا على الرغبةِ القويَّةِ التي كانت موجودةً عند بناءِ هذا الجامعِ في التركيزِ على البساطةِ المطلقةِ وعدم الخروجِ عن إطارها.

وعلى العكسِ من الميلِ إلى الزخرفةِ والزينةِ -والذي نجِدُه في كثيرٍ من الجوامعِ التي بنيت في تلك الفترة- فإن ما نلاحظُهُ هو خلوُّ كافَّةِ أرجاءِ جامعِ "السلطانة مِهْرِمَاهْ" من أيِّ شكلٍ من أشكالِ هذه الزخرفةِ، وقد كانت هذه البساطةُ هي ما أعطى الساحةَ الداخليَّةَ لهذا الجامعِ طابعًا خاصًّا، لكنَّنا على الرغمِ من هذا البعدِ عن الزخرفةِ الذي نجدُه في جامعِ "السلطانة مِهْرِمَاهْ" فإنّنا نجدُ أنّ الأعمالَ الفنّيَّةَ الزجاجيَّةَ الملوّنةَ الموجودةَ بالأجزاءِ الأماميّة السفليّة لنوافذِ الطابقِ العلويِّ لهذا الجامعِ تُعْتَبَرُ من الأعمالِ والنماذجِ الفريدةِ التي بقيت لنا من تراثِ القرن السادس عشر.

حيث إن هذه الزخارف التي رُسمت على النمط "الروميلي (*rumili*)"[٢٤٩] والنمط "خطائيلي (*hatâîli*)"[٢٥٠] الشرقي والتي نجدها

(٢٤٩) نمط شائع في الزخرفة يعتمد على أشكال الحيوانات والنباتات.

(٢٥٠) نمط من الزينة يظهر في صورة خطوط متقاطعة على سيقان الزهور المتنوعة.

على تلك الأعمالِ الزجاجيّة سواء أكانت شفافةً أو خضراءَ أو حمراءَ أو صفراءَ أو زرقاءَ أو بيضاءَ فإنها تمثّلُ لنا صورةً لشخصيّةٍ فنّيّةٍ مميّزةٍ وتعبّر لنا كذلك في نفسِ الوقت عن العصرِ العثمانيّ الكلاسيكي(٢٥١).

بابٌ منقطعُ النظيرِ في الزخرفة

إننا في القرنِ السادسَ عشر وما سبقَهُ لا نجدُ في الفنّ العثمانيّ أعمالًا فنّيّةً خشبيّةً على أبواب الجوامع الرئيسة لكّننا نجد ذلك النوعَ من الزخرفة كان شائعًا جدًّا على أجنحةِ النوافذِ في نفسِ ذلك القرنِ حيث كان يُصنَعُ هذا النوعُ في صورةِ أعمالٍ هندسيّةٍ نجميّةٍ مزخرفةٍ على نمطِ الفنّ "الكُونْدَكَارِي (*kündekârî*)"(٢٥٢) ومع ذلك فإنك ترى في جامع "السلطانة مِهْرِمَاهْ" نموذجًا منقطعَ النظيرِ من أعمالِ الزخرفةِ الخشبيّةِ على الباب الرئيس للجامع، حيث تمثّلُ لنا هذه الزخارفُ النموذجَ الأوحدَ للفنّ العثمانيّ من هذا النوعِ وعلى هذا الشكلِ.

إن الباب الرئيس في جامع "السلطانة مِهْرِمَاهْ" نجده يحملُ ثلاثَ زخارفَ على الشكلِ التقليديّ، وتعلو هذه الزخارفَ كتاباتٌ متنوّعةٌ، أما في الأقسام الوُسطى والسفْلى من هذا البابِ فتوجدُ زخارفُ هندسيّةٌ على طريقةِ الفنّ "الكُونْدَكَارِي"، ويلاحَظُ أنَّ البعضَ من هذهِ الزخارفِ الهندسيّةِ الصغيرةِ يأخُذُ أشكالًا نجميّةً، أما الحليّ الهندسيّةُ الأخرى التي توجدُ على البابِ -والتي كانت غالبًا ما تُصنَعُ من المعدنِ- فنراها هنا مصنوعةً من عاجِ الفيل، وإلى جانب الأجزاءِ ذات الأصالةِ المعدنيّةِ الموجودةِ على البابِ فإننا نجد أن مقبض الباب الجميل يُظْهِرُ بوضوحٍ فنَّ "الباروك"،

(٢٥١) يِلْدِيزْ دَمِيرْإِيزْ (*Yıldız Demiriz*)، جامع "السلطانة مِهْرِمَاهْ" في أسكودار، دار نشر " صنعت دنياماظ (*Sanat Dünyamız*) "، إسطنبول، ١٩٨٠م، الجزء الرابع، العدد ٢٠، ص ٢٠.

(٢٥٢) أحد الفنون الجميلة التي تختص بالمشغولات الخشبيّة حيث يتمّ تعشيق قطعٍ خشبيّةٍ صغيرةٍ ودقيقةٍ مصنوعةٍ من أخشاب أشجارٍ صلبةٍ ونفيسةٍ ومقاومةٍ للرطوبة والحرارة ممّا يجعلها تعطي في النهاية تصميمًا هندسيًّا.

كما نجدُ في الأقسامِ العليا والسفلى من القوائمِ الخشبيّةِ للباب زخرفةً خشبيّةً مختلفةً مطعَّمَةً على النمطِ الروميلي، حيث يعتبرُ هذا الشكلُ من الزينةِ والزخرفةِ من الأنماطِ التي لا نصادِفُها كثيرًا في أعمالِ الزينةِ التي تعودُ إلى القرنِ السادسَ عشر، وهكذا نرى أن هذا البابَ البديعَ الخاصَّ بجامعِ "السلطانة مِهْرِمَاهْ" يُعتبَرُ أثرًا فنيًّا عظيمًا يتميّزُ عن غيره من الأبواب التي تعودُ إلى ذلك العصرِ بما فيهِ من فنٍّ وإبداعٍ يجعله لافتًا للنظر. (٢٥٣)

* * *

بالإضافةِ إلى ما سبقَ فإنَّ هناكَ ملحوظةً أخرى تثيرُ الاهتمامَ فيما يتعلَّقُ بموضوعِ الزينةِ، فعند المدخَلِ الذي يُفْضِي إلى مكانِ الصُّفّة نجدُ على باب المنارةِ الواقعِ إلى اليسارِ كتابةً مزخرفةً بخطٍّ كبيرٍ بارزٍ مكتوبٌ بها "لا إله إلا الله"، حيثُ لا تزال تمثل هذه الكتابة إلى اليوم عملًا فنّيًّا منقطعَ النظيرِ من ناحيةِ فنِّ التطعيمِ والزخرفةِ، كما نجد أنه قد وُضِعَ بمنتهى البراعة أحجارٌ متنوّعةٌ ومختلفةٌ حمراءُ وملوّنةٌ في الفراغات التي حول الكلماتِ وبين الحروف(٢٥٤).

وباختصارٍ فإنَّ جامعَ "السلطانة مِهْرِمَاهْ" يُعتبرُ من الآثارِ القيّمة التي تركتْ طابَعَها على منطقة "أسكودار" وذلك بفضلِ بساطتِها وروعتِها وجلالِها الذي يليق ببنت السلطان.

ضريحانِ بلا تاريخٍ أو كتابةٍ عليهما

بالإضافة إلى المبنى الخاصِّ بجامع "السلطانة مِهْرِمَاهْ" نجدُ أنَّ هناك أيضًا ضريحانِ إلى جانبِ ما تبقَّى لنا من آثارٍ، أحدُ هذين الضريحين

(٢٥٣) دَمِيرْإِيزْ، المصدر السابق، ص ٢١.

(٢٥٤) " دُوغَانْ كُوبَانْ (*Doğan Kuban*) "، " مجمع مهرماه سلطان "، موسوعة إسطنبول من الأمس إلى اليوم، إسطنبول - ١٩٩٤م، الجزء الخامس، ص ٤٥٧؛ قُونْيَالِي، المصدر السابق، الجزء الأول، ص ٢١٦.

-والذي يقع في مواجهة البحر- يُعرَفُ بأنّه ضريحُ "سنان الدين يوسف باشا"، وبناءً على ما يذكرُهُ المؤرِّخُ الفنيّ المرحوم "إسماعيل حقي قونيالي" فإنّ هذا الضريحَ قد دُفِن فيه أربعةُ أشخاصٍ، بنتٌ واحدةٌ وثلاثةُ رجال، ومن بين أولئك الرجالِ الثلاثة ابني السلطانةِ "مهرماه" من زوجها "رستم باشا" لكننا مع الأسفِ لا نصادفُ أيَّ تاريخٍ أو كتابةٍ تؤكّد لنا هذه المعلومات لا على باب الضريحِ ولا على النعوشِ. (٢٥٥)

أما الضريح الثاني والموجود في فِناء الجامع فهو ضريحُ الصدرِ الأعظمِ "إبراهيم أدهم صاكيزلي باشا"، وعلى باب هذا الضريح توجدُ الآيةُ الكريمةُ ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ وقد كتبت بزخرفةٍ بديعةٍ على طراز (جلي) مع تاريخ (١٣١٠هـ/١٨٩٢م)(٢٥٦).

وفي هذا الضريح نجد قبر "إبراهيم أدهم باشا" وابنه "غالب بك" إلى جانب ثلاثةِ أشخاصٍ من نفسِ العائلةِ.

* * *

وفي الزاوية الشمالية الغربية من جامع "السلطانة مِهْرِمَاهْ" وإلى اليمين من مكان الصُّفّة نجدُ نعشًا يعتبرُ هو الآخر واحدًا من أكثرِ الأعمالِ الفنّيّة المبهرةِ فيما يتعلَّقُ بالزخرفةِ الخشبيّةِ على القبرِ، وفي الجهةِ الجنوبيّةِ من هذا النعشِ المُحاطِ بالسورِ المقضّبِ توجدُ كتابةٌ بخطٍّ كبيرٍ وواضح على شكلِ خنجرٍ يقفُ في وضعيّةٍ مائلةٍ بين حِلْيَتَينِ مزخرفتَينِ"إن هذا القبرَ يعودُ إلى "عثمان بك" ابن "رستم باشا" من زوجةٍ أخرى غير "السلطانة مِهْرِمَاهْ" والذي توفي عام (١٥٧٦م)"(٢٥٧).

(٢٥٥) أُوزْكَجَجِي، المصدر السابق، ص ١٠٦.

(٢٥٦) أُوزْكَجَجِي، المصدر السابق، ص ١٠٦.

(٢٥٧) أُوزْكَجَجِي، المصدر السابق، ص ١٠٧.

خمسُ قِطَعٍ من النقودِ الفضِّيَّةِ للطالبِ المجتهد

إلى الشمالِ من جامعِ "السلطانة مِهْرِمَاهْ" تقعُ مدرسةٌ ذاتُ ستّ عشرة غرفة، وفي كتاب "تذكرة الأنبياء" يُذكرُ أنَّ هذه المدرسةَ قد بناها المعماريّ "سِنَان"، وإذا كان من غير الممكن تحديدُ التاريخِ الذي أُنْشِئَتْ فيه هذه المدرسةُ بِدِقَّةٍ فإن ذلك يرجعُ إلى عدمِ وجودِ كتابةٍ على المدرسةِ، إلا أنَّ الشكلَ العامَّ للمبنى وخصائصَ تخطيطِهِ الهندسيّ -التي تشبه كثيرًا مدرسة "خَاصَكِي"- تُظْهِرُ لنا أنّ المدرسةَ والجامعَ اللذين يعودان إلى "السلطانة مِهْرِمَاهْ" قد تمَّ إنشاؤُهُمَا في وقتٍ واحدٍ وعلى التوالي فيما بين عامَيْ (١٥٤٠-١٥٤٨م)، إن هذه المدرسةَ -التي توجدُ على ارتفاعٍ يبلغُ (٤,٤٠) متر بالنسبة لمستوى سطحِ المنطقةِ الموجودِ بها "ميدانُ ميناءِ أسكودار" ولها أبعادٌ تقاربُ (٣٠ X ٣٠) متر- تتميّزُ ببناءٍ هندسيٍّ متجانسٍ يمتدُّ بشكلٍ دقيقٍ للغايةِ على المحورِ الشرقي الغربي[٢٥٨].

إن البابَ العاليَ والعظيمَ لهذه المدرسةِ -والذي ينفتحُ على فِناءِ الجامع- لا نجدُ عليه أيَّ كتابةٍ، أما قناطرُ وأقواسُ هذه المدرسةِ فقد صُنِعَت من الرخامِ الأحمرِ والأبيضِ، وعند العبور من الباب الرئيس لمدرسة "السلطانة مِهْرِمَاهْ" نجد فِناءً على شكلِ مستطيلٍ تَتَوَسَّطه ميضأةٌ من الرخام، وفي مواجهةِ هذا الباب توجدُ قاعةُ التدريس، وهذه المدرسة التي بنتها "السلطانة مِهْرِمَاهْ" -والتي تُعْرَفُ باسم "المدرسةِ الرصاصيَّةِ" بسبب وجود تسع عشرةَ قبّةٍ بها، مغطاةٍ كلّها بالرصاص- تتميّز كذلك بأنَّ كلَّ الأحجارِ المستخدمةِ في بنائِها من حجرِ (الكُوفَكِي)[٢٥٩].

* * *

(٢٥٨) كُورَانْ، المصدر السابق، ص ٤٨.

(٢٥٩) خَضكَانْ، المصدر السابق، الجزء الثالث، ص ١٢٤١.

لقد كان هناك نظامًا بالمدرسةِ يقضي -باستثناءِ الظروف ذاتِ العذرِ الشرعيّ- بأن يحصلَ المدرّسُ الذي لا يخلّ بواجباتِ وظيفتِهِ على خمسين قطعةِ نقودٍ فضّيّةٍ، كذلك فقد كان يتمُّ صرفُ مبلغِ خمسِ قِطَعٍ فضّيّةٍ لأكثرِ الطلابِ اجتهادًا بين زملائِهم، كما كان يتمُّ منحُ قطعتين من النقودِ الفضّيّةِ إلى كلِّ طالبٍ من الطلابِ الأربعة عشر الذين يواظبون على الدراسة في المدرسة ولا ينقطعون عنها إلا لعذرٍ، وفي أوقاتِ تناوُلِ الطعامِ كان الطلّابُ ينزلون من سلالمِ بابِ المدرسةِ حيثُ يتّجهون إلى مكانِ تقديمِ الطعامِ، لتناول الشوربة هناك، وقد اندثرَ هذا المكانُ ولم يبقَ منه شيءٌ في عصرِنا الآن(٢٦٠).

لقد تحوّلت هذه المدرسةُ من مركزٍ للعلمِ والخيرِ إلى مأوًى للمُدمِنين، وذلك بعد الإهمالِ الشديدِ الذي تعرَّضَتْ لهُ إثرَ تطبيقِ القانونِ القاضي بإغلاقِ الأضرحةِ والتكايا والمدارسِ الدينيّةِ، حتى إن قِبابَها بدأت تنهارُ مع مرورِ الوقت، وحتى إن الدارَ التي كان يتمّ فيها تقديمُ الطعامِ مجَّانًا -والتي كانت تقعُ إلى يسارِ المدرسة- تمَّ هدمُها من قِبَلِ رئيسِ حيّ أسكودار "عزت تشَغْبَارْ" بحجّةِ فتحِ الطريق، وفيما بين عامَي (١٩٥٨-١٩٦١م) تحوّلَ مبنى المدرسةِ بعد أن تمَّ ترميمُه ليصبحَ تابعًا لوزارة الصحّة بقرارٍ من المديريّةِ العامّةِ للأوقافِ، حيث صارَ مبنى المدرسةِ بعدها وحدةً صحّيّةً اجتماعيّةً بحي "أسكودار" لخدمةِ الأطفالِ الرضَّعِ وأطفال المدارس، أما فِناءُ المدرسةِ فقد تمَّ تغطيتُهُ بالزجاجِ، في حينِ أنَّ قاعةَ الدرسِ قد تحوَّلتْ إلى مكانٍ للكشفِ على المرضى، وفي عام (١٩٧٥م) تحوّلت المدرسة إلى مصحَّةٍ لعلاج الأمراضِ النفسيّةِ، ويلاحَظُ

(٢٦٠) ضكَانْ، المصدر السابق، الجزء الثالث، ص ١٢٤٢.

على هذه المدرسةِ أنّها تعرّضَتْ لتغييراتٍ كثيرةٍ من الداخلِ لكنَّها حافظت على شكلِها ورونقِها المعماريّ من الخارجِ.[٢٦١]

وإلى اليوم لا تزال مدرسة "السلطانة مِهْرِمَاهْ" مستمرَّة في القيام بنشاطِها في صورة مركزٍ صحّيّ يحملُ اسمَ السلطانة "مهرماه" التي أنشأته قبلَ أكثر من أربعة قرون.

السبيل العام الذي تم تأجيره

وعند جهةِ القبلةِ بجامع "السلطانة مِهْرِمَاهْ" حيث يلتقي المنحدرُ الكبير مع شارعِ "سبيل سلمان أغا" نجدُ مدرسة الصِّبْيَان (أي: الكُتَّاب)، وهذه المدرسةُ -التي تُعتَبَرُ هي الأخرى من أعمال المعماريّ "سِنَان"- قد شُيِّدَتْ بالكامل من الحجرِ المُقَطَّعِ، إنَّ مدرسةَ الصِّبْيَان هذه التي أنشأَها "سِنَان" جعلها منقسِمَةً إلى قسمين متجاورين، قسمٌ صيفيّ وقسمٌ شتويّ وتعلوهما قبَّةٌ، أما القسم الصيفيّ فيتميَّزُ بشكلٍ مربّعٍ ولا نجد أيّ كتابةٍ على بابِهِ المقوَّسِ الذي ينفتِحُ على فِناءٍ صغيرٍ وله نافذةٌ تتألَّفُ من جزءٍ واحدٍ وتطلُّ على المنحدَرِ وتأخذُ شكلَ صالونٍ كبيرٍ، وأمَّا القسمُ الشتويّ من مدرسةِ الصبيان فتوجدُ في الجزءِ السفليّ منه نافذتان تطلّانِ على كلا الشارعين، في حين أن الجزءَ العلويَّ من هذا القسم توجدُ به نافذةٌ واحدةٌ، ويلاحَظ أنَّ تلك النوافذَ الموجودةَ سواء في القسمِ العلويّ أو السفلي قد صنعت من الجِبْسِ،[٢٦٢] كما تتميّزُ النوافذُ السفليّةُ بأنها محاطةٌ بسورٍ ذي قضبان حديديّة ذات شكلٍ مكوّرٍ، وأيضًا يتميَّزُ القسمُ

(٢٦١) قُونْيَالِي، المصدر السابق، الجزء الثاني، ص ٢٩٠.

(٢٦٢) حيث كان هذا القسم مفتوحًا من جهته الأمامية فقط ويوجد في الجهة الداخلية أو الخارجية من البناء، كما كان يتميز بصفة عامة بوجود قوس أو قنطرة معمارية.

الشتويّ من هذه المدرسةِ بشكلِه الخارجيّ الذي يختلفُ تمامًا عن الشكلِ الخارجيّ الخاصّ بالقسمِ الصيفيّ الموجودِ بنفسِ المدرسةِ.[٢٦٣]

وإلى اليوم لا تزالُ مدرسةُ الصبيان تلك تقومُ بنشاطِها وإن كان في صورةِ مكتبةٍ عامّةٍ للأطفال.

* * *

أمّا السبيل العامّ الذي أنشأتْهُ "السلطانة مِهْرِمَاهْ" في نفسِ العامِ الذي تمَّ فيه بناءُ الجامعِ الذي يحمِلُ اسمَهَا فنجدُهُ في داخلِ الصالونِ الكبيرِ الموجودِ تحتَ القسمِ الشتويّ من مدرسةِ الصبيان، حيث يقعُ هذا السبيل في مكانِ التقاءِ الشارعين عند جهةِ القِبْلَةِ الموجودةِ بالجامعِ، لقد تعرَّضَ هذا السبيل للتدميرِ على مرِّ الزمانِ إلى أنْ تمَّ ترميمُهُ من قِبَلِ السلطان "محمود الثاني" سنة (١٨٣١م) لكنّ هذا السبيلَ الذي تمَّ إنشاؤهُ بالكاملِ من الحجرِ المقطَّعِ لم يبقَ لنا منه الآنَ أيّ شيءٍ أو أَثَرٍ أو علامةٍ أو كتابةٍ توضّحُ لنا تاريخَ إنشائِهِ أو تاريخ ترميمه، وفي مكانِ الكتابةِ القديمةِ نجدُ أنه قد وُضِعَتْ بعدَ ذلكَ كتابةٌ جديدةٌ بعنوانِ "سبيل السيّدةِ الثالثةِ" وذلك بتاريخ عام (١٧٢٨م)![٢٦٤] وقد كان للسبيل الذي أنشأتْهُ "السلطانة مِهْرِمَاهْ" حوضٌ وواجهةٌ مزخرفةٌ من حجرينِ متلاصقينِ، كما تمَّ عملُ ونَحْتُ ثلاثةِ تجاويفَ أحدُها داخلَ قوسِ الصالونِ واثنانِ في الجدارينِ الجانبينِ.[٢٦٥]

(٢٦٣) خَضكَانْ، المصدر السابق، الجزء الثاني، ص ٩١٨.

(٢٦٤) إن سبيل "السيدة الثالثة" والذى شيد من قبل " شرمي رابعة قادن (*Şermi Râbia Kadın*) "الزوجة الثالثة السلطان أحمد الثالث" يقع في الزاوية التي يتلاقى فيها شارع جامع "الشيخ" بشارع "سلمان أغا بستان" وذلك في منطقة "أسكودار"، وقد تهدم هذا السبيل بشكلٍ كاملٍ في عشرينيات القرن العشرين وذلك بعد أن كانت حالته قد تدهورت بفعل الزمن، وفي عام (١٩٣٥م) تم وضع الكتابة المدونة التي كانت تخصّ هذا السبيل والتي كانت ملقاة على الأرض على سبيل "السلطانة مِهْرِمَاهْ" الذي تمّ تغييز مكانه فيما بعد. (أورمان، المصدر السابق، الجزء الثلاثون، ص ٤٢).

(٢٦٥) خَضكَانْ، المصدر السابق، الجزء الثاني، ص ٩١٨.

إن الصالـونَ الموجودَ به هذا السـبيل التاريخـيّ قد تمَّ تأجيرُهُ من قِبَلِ مديريّةِ الأوقافِ سـنة (١٩٦٧م)، ومـع الأسـفِ فإنَّ مكانَ هذا السـبيل قد تحوَّلَ اليومَ إلى مكانٍ يُستخدَمُ كمحلٍّ لبيـعِ العسلِ!

* * *

وتحتَ الحائطِ الرئيسِ لمجمّـعِ "السـلطانة مِهْرِمَاهْ" والذي يُطِلُّ على ساحةِ "ميناءِ أسكودار" نجدُ هناكَ سبيلًا آخرًا، حيث يبدو أمامَنا قوسُ هذا البنـاءِ الأثـريّ البديـعِ الذي يمثّلُهُ لنا هذا السـبيل مزخرفًا بالرخامِ الأبيضِ والورديّ، كذلك يتميّزُ هذا الأثرُ بما عليهِ من كتابةٍ بديعةٍ مزيّنةٍ برسوماتٍ بـارزةٍ تصوّرُ ورقَ الشـجر والورودِ وأزهارِ (التوليـب)، وهذه الكتابةُ التي نراها على السـبيل عبارةٌ عن ثلاثةِ أسـطرٍ مكتوبةٍ بأكثرِ نماذجِ خطِّ الثُلُثِ روعةً وجمالًا في ذلك العصر:

ما أجملَ نبـعَ ماءِ الحياةِ هذا

فمن كانت قلوبُهم عطشى ليشربوا على الدوام من هذاالماءِ الجاري من هذا السبيل الذي بنَتْهُ "السلطانة مِهْرِمَاهْ" والتي تُشبهُ الملكة "بلقيس"

لقد أراد الله أنْ يجريَ ماءَ الحياةِ هذا على يديها في هذا التوقيت.

إن تلـك الكتابـةَ الموضوعةَ على هذا السـبيل التاريخـيّ والموجودةَ مباشـرةً أمـامَ الميضـأةِ وإن كانـت تُشـيرُ إلـى أن السـبيل قـد أنشِـئَ عام (١٦٨١م/١٠٩٢هـ)، إلا أنَّ هذا السـبيل قد أُنْشِـئ في الحقيقةِ مـع الجامـعِ في نفسِ الوقتِ، حيث إنَّ هذه الكتابةَ قد وُضِعَتْ بعد عملية الترميم التي أجريت للسبيل عام (١٦٨١م)[٢٦٦].

(٢٦٦) على الرغم من أن "ميدان الميناء" لم يكن قد تمّت توسعته في القرن السابع عشر فإن الحائط الشمالي لفناء الجامع عند بنائه لم يكن يطلّ مباشرةً على مضيق البسفور، أي إن رصيف الميناء كان يقع بين الجامع والبحر، ونجد أن رواية الرحالة "أوليا شلبي" عن وجود سلّمٍ في شرق فناء الجامع يستخدم من أجل أن يوصل بالميدان تعتمد على هذا التفسير، بالإضافة إلى ذلك فإن الحافة المزيّنة التي توجد أسفل إفريز السبيل المزخرف برسم لزهرة الزنبق قد شُقّت إلى نصفين بسبب الكتابة المدونة التي تمّ وضعها، إن هذا الإفريز الذي يعود إلى القرن السادس عشر لا نراه يحقق انسجامًا شكليًا بين اللوحة المكتوبة وبين الحواف المزينة. (كوران، المصدر السابق، ص ٤٩).

القصرُ العظيمُ المُشَيَّد على هضبةِ السلطانِ

قامتِ "السلطانة مِهْرِمَاهْ" بتكليفِ المعماريّ "سِنَان" ببناءِ قصرٍ عظيمٍ على الهضبةِ المطلَّةِ على مضيقِ "البوسفور" خلفَ المجمَّعِ الخيريّ، حيث احتلَّ هذا القصرُ بملحقاتِهِ مساحةً واسعةً للغايةِ، ولقد تعرَّضَ هذا القصرُ مع الوقتِ إلى التدميرِ والخرابِ لدرجةِ أنَّهُ قد صارَ في الأزمنةِ الأخيرةِ يُستخدَمُ كساحةٍ للعبِ كرةِ القدمِ، ولم يتبَقّ لنا من هذا القصرِ في السنواتِ الأخيرةِ سوى المكان الذي كانَ مخصَّصًا كمطبخٍ بالإضافةِ إلى المدخنةِ والحمامِ، حيث بإمكاننا اليوم أن نرى بقايا هذا القصرِ في الجانبِ الأيمنِ من قطعةِ الأرضِ التي كانَ مقامًا عليها، وبعدَ أن أخذَ هذا القصرُ العظيمُ اسمَ بنتِ السلطانِ فقدْ أصبحَ يطلق على تلك الهضبة والمنطقة كلها اسم "هضبة السلطان" ولقد كان "رستم باشا" من بعد عام (١٥٥٣م) عندما تولّى منصبَ الصدرِ الأعظَمِ للمرَّةِ الثانيَةِ وحتى وفاتِهِ عام (١٥٥٥م) يُقيمُ في هذا القصرِ الصيفيّ الذي يعودُ إلى "السلطانة مِهْرِمَاهْ" ويَقبعُ فوقَ هضبةِ السلطان.

النزلُ الكبيرُ الذي تمَّ تفجيرُه بالديناميت

في ساحةِ الميناءِ وفي مواجهةِ سلالمِ مدرسةِ "السلطانة مِهْرِمَاهْ" المفضيةِ إلى الساحةِ يوجدُ نزلٌ كبيرٌ للمسافرين قام ببنائِهِ المعماريّ "سِنَان" مع الجامع، حيث نجدُ أنَّ هذا النزلَ كان يُعْرَفُ في المصادرِ التاريخيّةِ باسمِ "الخان الرصاصِيّ"، أما لدى الشعب فقد كانَ هذا النزلُ يسمَّى باسم (خان الفاتح)، وقد تميَّزَ بناءُ هذا النزلِ بالشكلِ الرباعيّ كما نَجِدُ أنه قد شيّدَ كذلكَ من الحجرِ المقطَّعِ المتساوي.

وفي كتابهِ الشهيرِ "سياحت نامه (*Seyahatnâme*)" يذكرُ لنا الرحَّالةُ "أوليا شلبي" أنَّ منطقةَ "أسكودار" كان بها أحد عشر نزلًا للمسافرين أمّا أحدُها فيقعُ على ساحلِ البحرِ الذي يُطِلّ عليه الجامعُ الواقعُ على رأسِ الميناءِ، حيث يشبهُ هذا النزُلُ الكبيرُ القلعةَ المتينةَ، فيتَّسِعُ لإيواء المسافرين مع جيادهمِ كما يضمُّ كذلك مائةَ موقدٍ ومائةَ طاولةٍ، وهذا النزلُ عبارةٌ عن مسكنٍ مغطى بالكامل بالرصاصِ وهو مفتوحٌ للقادمينَ والعابرينَ ليقدِّمَ لهم المأوى دونَ مقابلٍ[٢٦٧].

ويُعتَقَدُ أن هذا النزلَ الكبيرَ قد أُعيدَ تخطيطُهُ من جديدٍ في عهدِ السلطان "سليم الثالث" ليستخدَمَ كمخزنٍ للقمحِ، وفي حين كان يبدو لنا هذا النزلُ -في الصورِ الفوتوغرافيّة التي تعودُ إلى النصفِ الثاني من القرنِ الثامنِ عشر- بنافذةٍ تطلُّ على الهضبةِ وسطحٍ مائلٍ مزدوجٍ، فإننا نجدُهُ قد تحوّلَ في عشرينيَّاتِ القرنِ العشرين إلى خرابٍ، أمّا ما تبقَّى من مبنى هذا النزلِ فقد تمَّ تدميرُه على يدِ "عزّ الدين تشغبار" الذي كان يعملُ كرئيسٍ لحيّ "أسكودار" عام (١٩٣٠م).

دارُ إعدادِ الطعامِ التي هُدِمَتْ بحجَّةِ شق الطريقِ

من بينِ مبانِ مجمع "السلطانة مِهْرِمَاهْ" يوجد أيضًا مبنى تمّ تكليف المعماري "سِنَان" بإنشائه وهو المبنى الذي يضمّ دار السلطانة مِهْرِمَاهْ لإطعام الفقراء وغرفة إعداد الطعام (بالتركية: "طَبْخَانَه (*Tabhane*)")[٢٦٨] وعلى الرغم من أن هذا الأثر الذي لم يتبقَّ لنا منه شيء إلى الآن لا يمكن كذلك تحديد مكانه بشكلٍ دقيقٍ، إلا أنه يُعتقَدُ أن مكانَه كان في الزاوية

(٢٦٧) خَضْكَانْ، المصدر السابق، الجزء الثاني، ص ٩٧٩.

(٢٦٨) كلمة "طَبْ (*Tab*)" تعنى بالفارسية الحركة والقدرة، أما كلمة "طبخانه" فهي تشير إلى مشافى العصر القديم. وخلال العصر العثماني كان يوجد في إسطنبول وحدها حوالى عشرين " طبخانه " أنشئت تقريبًا إلى جانب كلّ جامعٍ كبيرٍ بحيث كانت هذه المؤسّسة توفّر الملجأ والحماية للمحرومين.

اليمنى من البقعة التي يلتقى عندها شارع "المدرسة الرصاصيّة" بشارع "ميناء الباشا"، وبناءً على الرسم الهندسي للمبنى فقد كان يوجد سبيلٌ في الطرف الأيمن لباب المدخل، وقبل هذا الباب كان يوجد مدخل إلى مكان تناولِ الطعام وهو مغطّى بقبّةٍ كبيرةٍ، أما الجانب الأيمن من المبنى فقد كان ينقسم إلى قسمين، أحدهما فيه المطبخ، والقسم الآخر فيه فرنٌ من أجلِ إعدادِ أحدِ أنواعِ الخبزِ المسمَّاةِ "فودلا (*Fodla*)"[٢٦٩]، ولقد كان هذا القسمُ من المجمَّع الخيريّ مغطّى بقبّتَينِ صغيرتين بكلٍّ منهما مصباحٌ معلّقٌ بالسقفِ، وإلى الخلفِ من دارِ إطعامِ المحتاجينَ وعلى الشارعِ كانتْ تقعُ مخازنُ للذخيرة تتكوَّنُ من ثلاثةِ أقسام.[٢٧٠]

وقد خصَّصَ "السلطانُ القانونيُّ" و"السلطانة مِهْرِمَاهْ" العائداتِ القادمةَ من بعضِ القرى الموجودةِ في الجانبِ الأوروبّيّ والتي تعودُ ملكيّتُها إليهِ لتكونَ أموالُها مخصّصَةً من أجلِ الإنفاق على هذه الدارِ المخصَّصَةِ لإطعام المحتاجين.

ويقولُ لنا الرحالةُ "أوليا شلبي" في كتابِه الشهيرِ "سياحت نامه" وهو يحدّثُنا عن دورِ إطعامِ المحتاجين الموجودةِ في منطقةِ "أسكودار" موضّحًا أن هذه الدور تبدأُ بدارِ "السلطانة مِهْرِمَاهْ" لإطعام المحتاجين والتي يحكي لنا عنها ما يلى:

> "في دارِ "السلطانة مِهْرِمَاهْ" لإطعامِ المحتاجين والتي توجَدُ عند مقدمةِ الميناءِ كان يُقدَّمُ الطعامُ لكلِّ شخصٍ مرَّتَين كلَّ يومٍ، وفي كلِّ مرَّةٍ كانت تقدَّمُ للفردِ صينيَّةٌ نحاسيّةٌ فيها شوربةُ القمحِ وخبزٌ مع شمعةٍ لكلِّ ليلةٍ، كما كان يُقدَّمُ لكلِّ جوادٍ علفٌ كصدقةٍ

(٢٦٩) نوع من الخبز يصنع من الدقيق ذى النخالة، وكان هذا الخبز يأخذ شكل فطيرةٍ مفلطحةٍ وكان يُقدّم في الدور القديمة المخصّصة لإطعام المحتاجين حيث كان يُقدّم بها هذا الخبز للطلبة والموظفين والفقراء.

(٢٧٠) خَضكَانْ، المصدر السابق، الجزء الثاني، ص ٩٨٦.

بـلا مقابـل، وإذا ما بقيَ الضيـفُ لأكثرَ من ثلاثة أيـامٍ فلا يقدَّمُ له شيءٌ، حيث كانَ هذا هو شرطُ الوقفِ."[٢٧١]

وهذا يعني أنَّهُ لا يجوزُ للفردِ أن يظلَّ أكثرَ من ثلاثة أيَّام في دارِ إطعامِ المحتاجين، فالمرْءُ لا يمكنُ أن يُعتَبَرَ ضيفًا لأكثرَ من ثلاثة أيام.

* * *

وفـي يـوم العشـرين مـن تشـرين الأول/أكتوبـر مـن عـام (١٧٢٢م) اندلعـت النيـرانُ من أحدِ الدكاكيـنِ المجاورَةِ لجامـع "السـلطانة مِهْرِمَاهْ" في "أسـكودار"، ولـم تقتصـرِ النيرانُ على المنـازلِ والحوانيتِ التي كانت بجـوارِ الجامِـعِ بل امتـدّتْ أيضًا إلى دارِ إعـدادِ الطعامِ التي أُنشِـئَتْ من قِبَلِ "السـلطانة مِهْرِمَـاهْ"،[٢٧٢] كذلكَ فقد امتدَّتْ النيرانُ إلى السـوقِ وإلى ورشةٍ لتصنيـعِ الأحذيةِ بالإضافةِ إلى حمَّامٍ صغيرٍ حيث احترقت كلُّ هذه الأماكن نتيجةً لهذا الحريقِ. [٢٧٣]

وقد شُيّدتْ أبنيةٌ جديدةٌ على أرضِ دارِ إطعامِ المحتاجين التي صارت خرابًا، ومن المحتملِ أنَّ الأنقاضَ التي هُدمت عام (١٩٣٦م) أثناءَ توسعةِ الطريـقِ،[٢٧٤] والتي ربَّما كانت تشـكِّل مبنى دار إطعـامِ الفقراءِ بالنظرِ إلى رسمِها الهندسيِّ-ربّما كانتْ هيَ- مطبخ دارِ الإطعام بالوقف الذي أنشأته "السلطانة مِهْرِمَاهْ". [٢٧٥]

أمّا الحمّام المزدوجُ الذي أنشـأتْهُ "السـلطانة مِهْرِمَاهْ" فلم يتسنَّ لأحدٍ أن يتأكّد من ارتباطِهِ بالوقفِ بشكلٍ واضحٍ، ولكنَّه يُذْكَرُ في بعضِ المصادرِ

(٢٧١) قُونْيالي، المصدر السابق، الجزء الأول، ص ٢٤٥.

(٢٧٢) كان هذا الجزء من السوق مخصّصًا لبائعي الأحذية والنعال.

(٢٧٣) مصطفى جَزَارْ، الكوارث الطبيعية والحرائق التي دمرت المباني في مدينة إسطنبول في العصر العثماني، بحوث ودراسات تاريخية عن الفن التركي الجزء الأول، إسطنبول – ١٩٦٣م، ص ٣٥٠.

(٢٧٤) كُونْيالي، يذكر أن بقايا المبنى مع بقايا خان القوافل قد هدمت عام (١٩٣٠م).

(٢٧٥) أُوزْمَانْ، المصدر السابق، الجزء الثلاثون، ص ٤١.

التاريخيّـةِ ويوصَـفُ بأنَّهُ كان حمَّامًا صغيرًا، وهذا الحمامُ قد تمَّ هدمُهُ عام (١٩٩٤م) وأقيمَ مكانُهُ مبنى يُستخدَمُ اليوم كدكّان ولم تعدْ تربُطُهُ -باستثناءِ شكلهِ الخارجيّ- أيّ علاقةٍ بأصلِ المكان. (٢٧٦)

عـلاوةً علـى ذلك نجدُ أن الأبنيةَ الخشـبيّةَ التي كانت أوّلًا في إحدى نواحـي الفِنـاء المطلّـةِ على شـارعِ "سـلمان آغـا" قد احترقـت في عصرِ السلطانِ "عبد المجيد" (١٨٣٩-١٨٦١م)، أما مبنى الساعة (تعيين الوقت) فقد أُمِرَ بإزالتِهِ عام (١٩٥٦م) بدعوى إعادةِ تخطيطِ المكان!

مجمّع "السلطانة مِهْرِمَاهْ" في "أَدِرْنَه قَابِي"

بعـد فتـرةٍ تتراوحُ مـا بينَ العشـرةِ والعشـرينَ عامًا من بنـاءِ المجمَّـعِ الخيريّ الذي أمرت "السلطانة مِهْرِمَاهْ" بإنشائهِ في منطقةِ "أسكودار" قامت "السلطانة مِهْرِمَاهْ" كذلك بتكليفِ المعماريّ والفنانِ الشهيرِ "سِنَان" بإنشاءِ مجمّـعٍ آخرَ يحمِلِ أيضًا اسمَها، حيث نجدُ أنَّ هذا المجمَّـعَ الثاني قد شُيِّدَ في "أَدِرْنَه قَابِي" في الجهةِ الداخليّةِ لأسـوارِ (تيودوسـيوس الثاني) وذلكَ بالقربِ تمامًا من بابِ القلعةِ المعروفةِ باسم "باب أديرنة"، وبالإضافة إلى الجامـعِ الـذي يتضمّنُهُ هذا المجمَّـعُ الخيريُّ والذي اسـتمرَّ بناؤه ثلاث سـنواتٍ فقد كانَ يوجدُ كذلك ضمنَ ذلك المجمّـعِ الخيريّ مدرسـةٌ دينيّةٌ وحمّامٌ مزدوجٌ ومدرسـةٌ للصبيانِ وسـوقٌ تضمُّ عددًا كبيرًا من الحوانيتِ، هذا إلى جوارِ ضريحٍ وسبيلٍ عامّ.

وكمـا يُفْهَـمُ من الأمرِ المُرْسَـلِ إلى قاضـي إسـطنبول "برفيز أفندي" فإنّ المسـؤولَ عن الأوقافِ الصدرَ الأعظمَ السـابقَ "قره أحمد باشـا" كانَ قـد أخـذَ في إعدادِ وتجهيزِ ما يلزمُ من أجلِ بناءِ جامعٍ بالقربِ من "أَدِرْنَه

(٢٧٦) أُورْمَانْ، المصدر السابق، الجزء الثلاثون، ص ٤١.

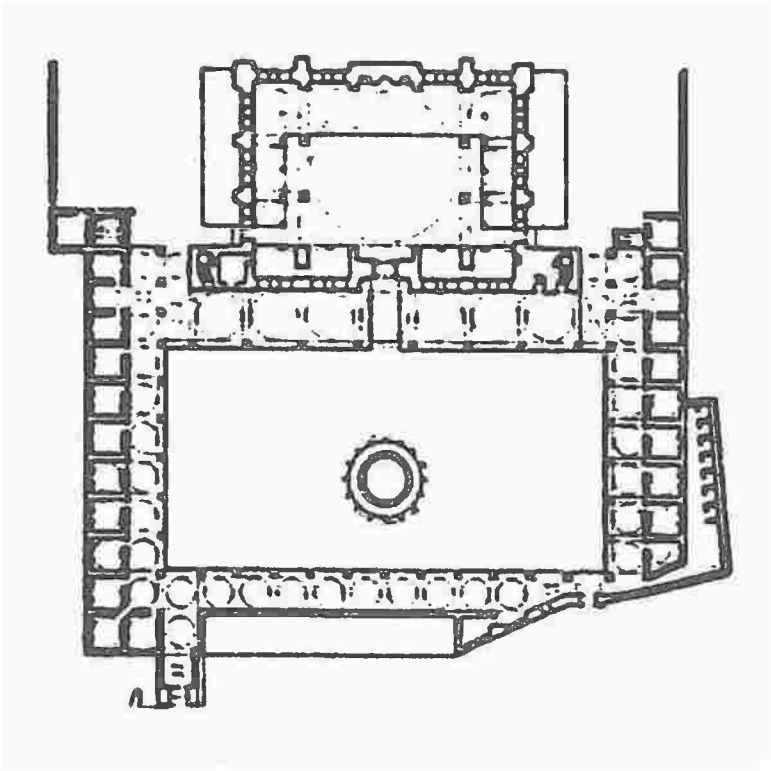

مخطط جامع ومدرسة "أَدِرْنَه قَابِي" (إسطنبول)

قَابِي"، إلا أنّه لم يتمَّ السماحُ ببناءِ هذا الجامعِ لأنّه كان قد تقرّرَ في نفسِ هذا المكانِ أن يتمَّ إنشاءُ جامعٍ آخر يحملُ اسمَ ابنةِ السلطان، وقد تمَّ الانتهاءُ في عام (١٥٦٦م) من بناءِ هذا الجامعِ الذي ابتدأ إنشاؤه عام (١٥٥٣م)، أما لائحةُ البنودِ التي بمقتضاها يتمُّ العملُ في هذا الوقفِ فقد نُظِّمَتْ وتمَّ إقرارُها بين عامي (١٥٧٠-١٥٧١م).(٢٧٧)

* * *

إنّ جامعَ "السلطانة مِهْرِمَاهْ" الموجودَ في "أَدِرْنَه قَابِي" يحتلُّ مكانةً خاصّةً في فنّ المعماريّ "سِنَان"، فتصميمُ البناءِ الخاصّ بهذا الجامعِ يمثّلُ مع "السليميّة" -بل ربَّما حتى يمثّلُ أكثرَ من السليميّة- العبقريّةَ الفريدةَ الموجودةَ في تصاميمِ المعماري "سِنَان"، إنَّ الفنَّانَ الكبيرَ "سِنَان" قد تمكَّنَ من رفعِ القبّةِ الكبيرةِ التي يبلغُ قطرُها عشرين مترًا والتي تستندُ إلى نظامٍ مربّعٍ حاملٍ للبناءِ بحيثُ جعلَهَا محمولةً على كلِّ المبنى وليسَ فقطْ على طارةٍ معدنيّةٍ أو خشبيّةٍ بل جاءَ رفعُها بالاشتراكِ مع كلِّ نظامِ القوسِ المعماريّ الحاملِ للبناءِ، لقد استطاعَ "سِنَان" أن يجعلَ بناءَ الجامعِ يبدو سواءً من الداخلِ أو من الخارجِ وكأنَّهُ على شكلِ قفصٍ معماريّ في غايةِ الروعةِ، كذلك فقد نجحَ "سِنَان" في الوقتِ نفسِهِ في أن يخلُقَ من القبّةِ -التي تأخذُ شكلًا شبيهًا بالمربّعِ ومن داخلِ مجموعةِ الأقواس- صورةً تبدو وكأنّها ستارةٌ مضيئةٌ، حيث استخدمَ "سِنَان" في ذلك عددًا كبيرًا للغايةِ من النوافذِ، وهكذا فإنَّ ما أنجزَهُ المعماريُّ "سِنَان" وما أحدثَهُ من تأثيرٍ -بواسطةِ هذا القفصِ المعماريّ الذي يجسّدُهُ أمامنا هذا المبنى المصنوعِ من الحجرِ والقرميدِ والمغطَّى بقبّةٍ- يُعتبَرُ قمّةَ ما يمكنُ الوصولُ إليه وغايةَ ما يمكنُ إبداعُه في فنّ العمارة. (٢٧٨)

(٢٧٧) سَمَاوِي أَيجَه (*Semavi Eyice*)، "مجمع وجامع أَدْرَنَه قَابِي (*Edirnekapı*)"، الموسوعة الإسلامية، هيئة الديانة التركية، إسطنبول - ١٩٩٤م، الجزء العاشر، ص ٤٤٦.

(٢٧٨) كُوبَانْ، المصدر السابق، الجزء الخامس، ص ٤٥٤.

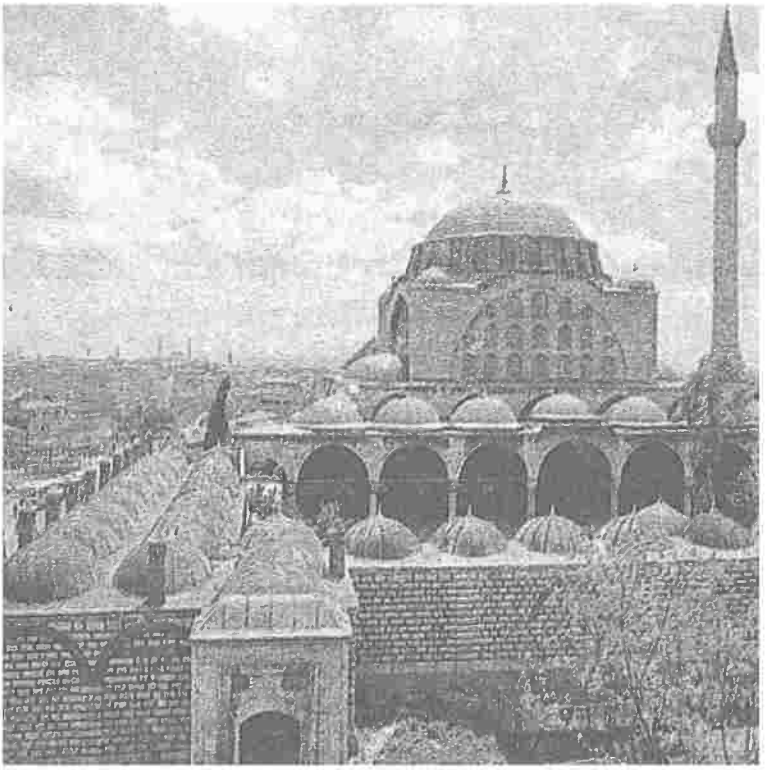

جامع ومدرسة "السلطانة مِهْرِمَاهْ" (أَدِرْنَه قَابِي/إسطنبول)

جامعٌ مضيءٌ وواسعٌ

يمكـن الدخول إلى فناء جامـع "السـلطانة مِهْرِمَـاهْ" الواقـع في منطقة "أَدِرْنَه قَابِي" من خلالِ السـلّمِ الموجودِ أسـفل البناءِ العالي الذي يقـعُ إلى جوارِ غُرَفِ المدرسةِ الدينيّةِ بسببِ كونِهِ مرتفعًا عن مستوى الشارعِ، وهذا الفِنـاءُ الذي يُشـبِهُ فناءَ جامـعِ "صوكوللو محمد باشـا" الواقـعُ في منطقةِ "كديرجـا" نجدُهُ محاطًا من ثلاثِ جوانبَ بالأروقةِ، أما الطرقُ القادمةُ من الأبوابِ الموجودةِ في الزوايا الثلاثِ الأخرى من الفِناءِ فنجدُها تلتقي عند الميضأةِ الموجودةِ في الوسـط، حيث تقـعُ هذه الميضأة في وسـطِ الفِناءِ ولها حوضٌ واسـعٌ وجميلٌ من الرخامِ وقد غطَّاهُ سقفٌ رخاميٌّ مستندٌ إلى ستة عشرَ عمود رخاميّ[٢٧٩].

إن مكانَ الصُّفّةِ بجامـعِ "السـلطانة مِهْرِمَاهْ" ينقسـمُ إلى سـبعةِ أقسـامٍ نجدُها مغطاةً بقبّةٍ، أمّا أقواسُ الأروقةِ فتستندُ إلى أعمدةٍ، حيث نلاحِظُ أنّ اثنينِ من هذه الأعمدةِ مصنوعٌ من الجرانيت أمّا بقيّة الأعمدةِ فمنَ الرخامِ.

* * *

تتميّـزُ شـرفةُ المئذنـةِ الوحيـدةُ بجامـعِ "السـلطانة مِهْرِمَـاهْ" الموجودِ فـي منطقةِ "أَدرنـه قابي" بأنّها قد بُنِيَتْ من الحَجَـرِ المُقَطَّـعِ،[٢٨٠] كما نجدُ أنَّ مئذنةَ الجامِعِ تأخُذُ شكلَ مخروطٍ مصنوعٍ من الرصاص، وكما يلاحَظُ

(٢٧٩) أَرْدَمْ يُوجَلْ (*Erdem Yücel*)، " جامع أَدِرْنَه قَابِي "، موسوعة إسطنبول، إسطنبول – ١٩٦٨م، الجزء التاسع، ص ٤٩٢٦.

(٢٨٠) كانت الجوامع التي تؤسسها والدات وأبناء السلاطين في العصر الكلاسيكي ذات منارتين، لكن جامع "السلطانة مِهْرِمَاهْ" الموجود في منطقة " أَدِرْنَه قَابِي " شذّ عن هذه القاعدة، وإذا كان المعماري "سِنَان" قد أراد أن يضع جانبًا القواعدَ المتعارفَ عليها عند بناء جوامع السلاطين –وذلك من خلال الاكتفاء بمنارةٍ مرتفعةٍ للغاية مع قبّةٍ ضخمةٍ ذات خطوطٍ جانبيةٍ رائعةٍ وفريدةٍ في طرازها– فإنه بالتأكيد قد أراد أن يبعث لنا برسالة يفهم منها روعة ما يشير إليه. (كوبان، المصدر السابق، المجلد الخامس، ص ٤٥٥).

بوضوحٍ في القسمِ البارزِ من قاعدةِ المئذنةِ فإنها رُقّقت لاحقًا بعدَ أن كانتْ سميكةً في أوَّلِ الأمرِ، وعلى حينِ كان من اللازمِ إعادةُ إنشائِها بشكلٍ يتّفِقُ مع المقياسِ الأساسيّ لها بعدَ انهيارِها في زلزالِ عام (١٨٩٤م) إلا أنها بُنيَتْ دقيقَةً أيضًا مثلَ مآذنِ القرنِ التاسعَ عشر، أما البَراويزُ التي في أسفلِ الشرفةِ فقد زُخرفتْ في نمطِ القرنِ السادسَ عشر[٢٨١].

* * *

وتأخذُ الساحةُ الداخليّةُ لجامعِ "السلطانة مِهْرِمَاهْ" الموجودِ في منطقةِ "أَدرنه قابي" شكلًا مستطيلًا، وبها محفلٌ للسلطانِ وزخارفُ يدويّةٌ كما تتميّزُ تلك الساحةُ الداخليّةُ بمنظرٍ واسعٍ ومضيء نظرًا لوجودِ مائتين وأربع نوافذَ إضاءةٍ -جبسيّةٍ وعاديّةٍ- أمّا محرابُ الجامعِ المصنوعُ من الرخامِ الأبيضِ فتوجدُ عليه كتاباتٌ وتزيّنُهُ نجمةٌ ذهبيّةٌ ومسنّناتٌ رخاميّةٌ سلَّميَّةُ الشكلِ إلى جانبِ ثمانيةِ صفوفٍ من الرخامِ على شكلِ الجليدِ المتدلّي من السقف، كذلك نجدُ أنَّ منبرَ الجامعِ قد صُنعَ هو الآخرُ من الرخامِ الأبيض، وأمّا أسوارُ الجامعِ فتأخذُ شكلَ شبكةٍ تتوسَّطُها عقدةٌ مزيَّنَةٌ برسوماتٍ هندسيّةٍ ونجميّةٍ، وأما قمَّةُ المِنْبَرِ فذاتُ رأسٍ شبيهٍ بقطعةِ البقلاوةِ وتستند إلى أربعةِ أعمدةٍ من الرخامِ الملوَّنِ بالأخضرِ والأبيضِ، نجدُ كذلكَ أنَّ الكرسيّ الخشبيَّ في الجامعِ مزخرفٌ بأشكالٍ هندسيّةٍ ومزيَّنٌ بزخارفَ مطعّمَةٍ بالصّدَفِ. [٢٨٢]

ترميمُ الجامعِ بدأَ في عهدِ "مَنْدَرَس"[٢٨٣]

في كتابِ "تاريخ رشيد" يذكرُ أنّ قبابَ جامعِ "السلطانة مِهْرِمَاهْ"

(٢٨١) أيجَه، المصدر السابق، الجزء العاشر، ص ٤٤٧.

(٢٨٢) لجنة، جوامع " فاتح " والآثار التاريخية الأخرى، إسطنبول – ١٩٩١م، ص ١٦٦.

(٢٨٣) هو عدنان مندرس (بالتركية: *Adnan Menderes*) (١٨٩٩م- ١٧ سبتمبر ١٩٦١م) كان رئيسًا للوزراء بين عامي (١٩٥٠ و١٩٦٠م). أعدمه العسكريون شنقًا بعد انقلاب سنة (١٩٦٠م) مع اثنين من أعضاء مجلس وزرائه. (المترجم)

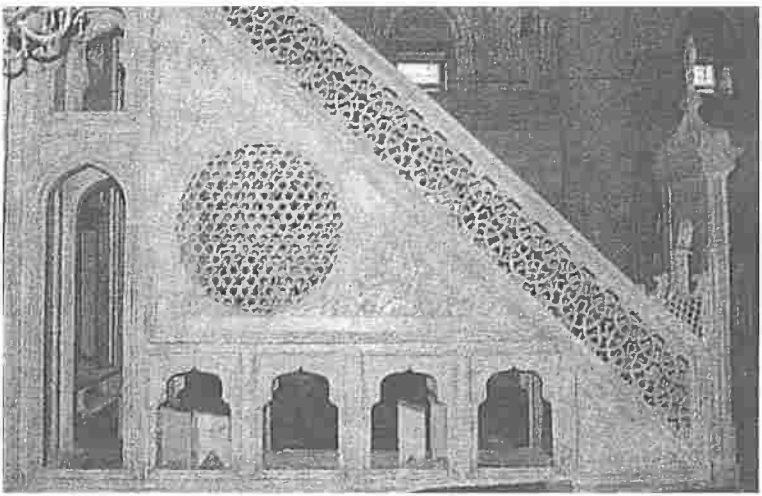

منبر جامع "أَدِرْنَه قَابِي" (إسطنبول)

قد انهارتْ في الزلزالِ الكبيرِ الذي وقعَ عام (١٧١٩م)، كما انهارتْ كذلكَ قبابُ المدرسةِ الدينيّةِ، أما "إحتفالجي (*İhtıfalcı*) ضيا باشا" فيذكر أنّ قسمًا كبيرًا من الجامعِ والمدرسةِ الدينيّةِ والضريحِ ومدرسةِ الصبيان قد تهدَّمَ مرَّةً أخرى في زلزالِ عام (١٨٩٤م) وتهدَّمت وتساقطت نصفُ المنارةِ أيضًا، ومع سقوط هذه الأجزاء المنهارةِ على القباب التي تعلو مكان الصُّفّة بالجامع فقد تسبَّبَ ذلك السقوطُ في انهيارِ قسمٍ من هذه القباب إلى جانبِ تصدُّعِ قسمٍ آخرَ من الجامع[٢٨٤].

يقول "قونيالي" أنه قد تمّ البدءُ في ترميم الجامعِ عام (١٩٠٧م) وتمَّ تخصيصُ مبلغِ عشرين ألف ليرة ذهبيّة مبدئيًّا، ولكن مع إعلانِ المشروطيّةِ[٢٨٥] فقد أُعْلِنَ عن توقُّفِ عمليَّةِ الترميم حيثُ وصلَ الأمرُ بعد ذلكَ إلى أنَّ المدرسةَ الدينيّةَ والحمامَ والضريحَ ومدرسةَ الصبيان قد تحوَّلتْ في الأربعينيّاتِ من القرنِ العشرين إلى أنقاض.

واعتبارًا من عام (١٩٥٦م) فقد بدأتْ عمليّةُ ترميم هذا الجامعِ التاريخيّ أثناءَ شقِّ طريقِ "أَدِرْنَه قَابِي" وذلك في إطارِ "برنامجِ ترميمِ الجوامعِ القديمةِ" الذي تبنَّاهُ رئيسُ الوزراءِ "عدنان مندرس (*Adnan Menderes*)"، إلا أنّ عملياتِ الإصلاحِ والترميمِ قد امتدَّت لسنواتٍ طويلةٍ.

* * *

الفِناء الكبيرُ لجامعِ "السلطانة مِهْرِمَاهْ" يأخذُ شكلًا مستطيلًا حيث تبلغُ أبعادُهُ ٥٧ X ٢١ متر، كذلك نجدُ أنَّ الأطرافَ الثلاثةَ لهذا الفِناءِ محاطةٌ من الأمام بحُجُراتِ المدرسةِ الدينيَّةِ ذاتِ الأروِقَةِ، حيث نجدُ في أحدِ الطرفين اثنتي عشَرَةَ غرفة أمّا في الطرف الآخرِ فتوجد عشرُ غُرَفٍ

(٢٨٤) أَيِجَه، المصدر السابق، الجزء العاشر، ص ٤٤٧.

(٢٨٥) المشروطية: اصطلاح عثماني أطلق على فترة التحوّل من الحكم الملكي الوراثي إلى الحكم بالدستور.

على الترتيبِ، ويُعْتَبَرُ القِسْمُ الذي بهِ قاعةُ الدروسِ أهمّ علامات المدرسة الدينيّةِ، ويُفْهَمُ من ذلك أنَّ الدروسَ كانت تُدَرَّسُ في الجامعِ، وإذا نظرْنَا إلى اللائحةِ التي تُنَظِّمُ العملَ في الوقفِ نجدُ بها أنّ المدرسة الدينية تحتوي على سبع عشرة غرفةٍ، وبهذا الشكلِ يتَّضِحُ أنَّ بقيَّةَ الغُرَفِ لم تكنْ مستخدَمَةً، واللوائحُ التي تعودُ إلى أيلول/سبتمبر من عام (١٩١٤م) نَجِدُ بها إشارةً إلى أنَّهُ كانَ من المتاحِ أن يسكُنَ ويقيمَ طالبانِ بكلِّ غرفةٍ من غُرَفِ المدرسةِ التي ذُكِرَ أنها تبلُغُ العشرين غرفةً، وفي عام (١٩١٨م) خُصِّصَتِ المدرسةُ الدينيّةُ لتُصْبِحَ مأوى لضحايا حوادثِ الحريقِ، كما تمَّ استخدامُها لفترةٍ وجيزةٍ أيضًا كمشفى.(٢٨٦)

ضريحُ "سميز أحمد باشا"

في الجنوب الغربي من جامع "السلطانة مِهْرِمَاهْ" وفي منتصف بَهْوِ الجامع توجد مدرسة للصبيان أُنشئتْ إلى جوارِ الضريحِ، حيث نجدُ أنَّ تلك المدرسةَ قد صمِّمَتْ بحيثُ تكونُ على هيئةِ مساحتين، إحدى هاتينِ المساحتينِ ذاتُ قُبَّةٍ، والأخرى ذاتُ قَبْوٍ، وعندما ننتقلُ من خلالِ الممرِّ الذي يَقَعُ بينَ غُرَفِ المدرسةِ الدينيّةِ والقِسْمِ الذي توجَدُ به المنارةُ الأخرى نجدُ في الواجهةِ مباشرةً بابَ المدرسةِ المزيّنِ بالأحجارِ الحمراءِ والبيضاءِ والذي يتميّزُ بقوسٍ مستديرٍ، ونجدُ أن هذه المساحاتِ مرتبطةٌ مع بعضِها البعضِ من خلالِ بابٍ له عتبةٌ من الرخام ومصنوعٌ من خشبِ الجَوزِ عليه رسوماتٌ هندسيَّةٌ متداخلةٌ.

ويُظهرُ تصميمُ المدرسةِ والضريحِ سويًّا أنهما أُنْشِئا بأمرٍ من "السلطانة مِهْرِمَاهْ"؛ وأن الضريحَ كانَ لأجلِ عائلتِها، أمّا مدرسةُ الصبيان فقد أُنشِئَتْ كعملٍ خيريٍّ.

(٢٨٦) أيجَه، المصدر السابق، الجزء العاشر، ص ٤٤٨.

لقد أمكنَ إنقاذُ مدرسةِ الصبيان هذهِ من الانهيارِ من خلالِ عمليّةِ الترميمِ التي أُجريَتْ لها في ستينيّاتِ القرنِ العشرين وذلك بعد أن كانت قد تحوّلتْ إلى حالةٍ مزريةٍ لسنواتٍ طويلةٍ، ويخبرنا "إبراهيم حقي قونيالي" أن الكتابةَ التاليةَ كانتْ موجودةً في وقتٍ سابقٍ حيث دُوِّنتْ بخطٍّ بديعٍ على الحائطِ الذي يقعُ في مواجهة الشارع:

"قامت بإنشائها السلطانة مِهْرِمَاهْ،
مدرسة الأولاد الابتدائية."

إلا أن هذه الكتابة لا بدّ وأنها تعود إلى تاريخ حديث. (٢٨٧)

* * *

وفي الضريحِ المجاورِ لمدرسة الصبيان والذي نجدُهُ يأخُذُ شكلًا مستطيلًا وكان مغطّى في البدايةِ بسقفٍ خشبيّ يوجد قبرُ "سميز أحمد باشا" الذي كان زوجَ السلطانة "عائشة هماشاه (*Hümâşah*)" ابنة "السلطانة مِهْرِمَاهْ"، حيث نجدُ ذلكَ القبرَ إلى جوارِ قبورٍ أخرى لشخصيّاتٍ من العائلة، وقد انتهى الحال بالضريح -الذي يُعتبر من أعمال المعماري "سِنَان"- في السنواتِ الأخيرةِ إلى حالةٍ مزريَةٍ جعلتْهُ يبدو وكأنَّهُ قد صار خرابةً، حيث نجد أن أسقُفَ الضريح قد صارت مهدَّمةً، أما ما به من توابيتَ حجريةٍ فأصبحت مبعثرةً، وقد ظلَّ الحال كذلك إلى أن تمَّ ترميمُ هذا الضريح مع مدرسة الصبيان في ستينيّاتِ القرنِ العشرين، لكنَّ الضريحَ ما زالَ إلى يومِنا هذا على هيئةِ أربعةِ جدران وذلك بسبب عدمِ بناءِ سقفٍ له حتى الآن.

وفي فِناءِ الضريح يوجد كذلك قبرُ "خاقاني (*Hakânî*) محمد بك" الذي ألّف كتاب "حلية النبي" ﷺ حيث يُعتبر هذا الكتاب من أشهرِ الأعمال الأدبيّة الدينيّة التي خُطَّت باللغة التركية في القرن السادس عشر الميلادي(٢٨٨).

(٢٨٧) أَيِجَه، المصدر السابق، الجزء العاشر، ص ٤٤٨.
(٢٨٨) أَرْدَمْ، المصدر السابق، الجزء التاسع، ص ٤٩٣٢.

الحمامُ المزدوجُ الذي تحوَّلَ إلى ورشةٍ لتصنيعِ الخيوطِ

بناءً على ما يُفهَمُ من الأمرِ الصادرِ بتاريخ سنة (١٥٦٥م) والذي تمَّ إرسالُهُ إلى قاضي إسطنبول فقد أُنشِئ كذلك حمامٌ مزدوجٌ قربَ مبنى جامعِ "السلطانة مِهْرِمَاهْ" وذلك من جهةِ القِبلةِ، والحمامُ الذي يُعتبَرُ من الأبنيةِ التابعةِ للمجمَّع الخيريّ نجده يقعُ في الطرفِ الأيسرِ من شارع "فوزي باشا" الذي يربط اليوم منطقةَ "فاتح" بمنطقة "أَدِرْنَه قَابِي"، أما القسمُ الخاصُّ بالرجالِ في الحمامِ فيقعُ في الجهةِ المطلَّةِ على الشارع، في حينِ أنَّ القسمَ الخاصَّ بالنساءِ يمكنُ الدخولُ إليه من بابٍ جانبيّ يقعُ في الجهةِ الجنوبيَّةِ، أما أسقُفُ هذا الحمام التي تعلوهُ والمحمولةُ على أعمدةٍ خشبيّةٍ فقد شُيِّدَتْ لتحلَّ محلَّ القبابِ التي تهدَّمَتْ من جرّاءِ الزلزال، وقد تمَّ بيعُ هذا الحمامِ المزدوجِ في فترةِ العصرِ الجمهوريّ وأصبحَ غيرَ تابعٍ لمديريّةِ الأوقافِ، حيثُ صارَ قسمٌ من هذا الحمامِ يُستخدمُ كمخزنٍ، وقسمٌ آخر كمسكنٍ، وقد انتهى الأمر بهذا الحمام في أواسطِ الستيناتِ من القرن العشرين إلى أن تحوَّلَ إلى خرابة.

لقد تمَّ تحويلُ قسمٍ -كان يُستعملُ في الأصلِ لخلعِ الملابسِ بالحمامِ- إلى ورشة لتصنيع الخيوط، وذلك بعد أن ظلّ مدّةً طويلةً على هيئةِ حطام، إلا أنه وفي نهايةِ الستينات من القرنِ العشرينِ عادَ العملُ به من جديدٍ بعد أن تمَّ ترميمُه من قِبَلِ مالكِ المكان.

* * *

وفي الكتابة المدونة بتاريخ (١١٤٢هـ/١٧٢٩م) على السبيل العامّ الذي أنشأه "جاغالزاده (*Cağalazâde*) إبراهيم بك"، والذي نجدُه قد بُنِيَ

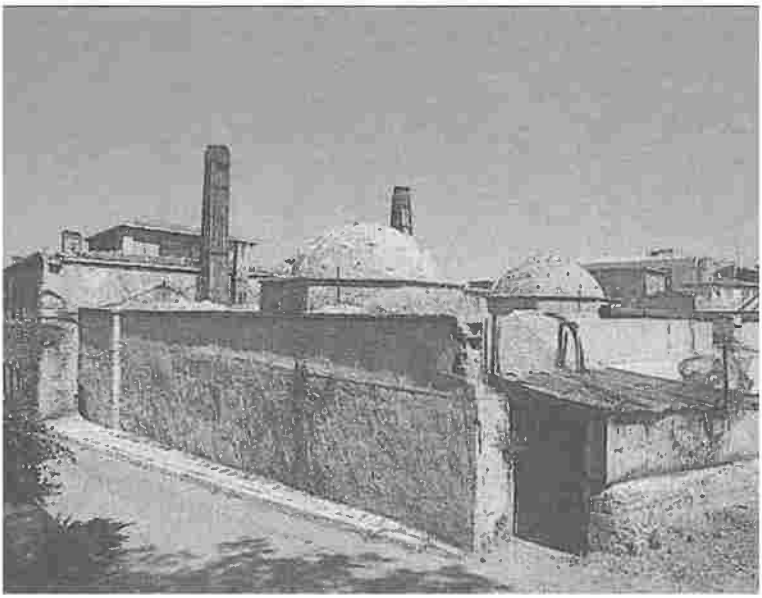

حمام "السلطانة مِهْرِمَاهْ" (أَدِرْنَه قَابِي/إسطنبول)

إلى جوارِ حمَّامِ "السلطانة مِهْرِمَاهْ" يذكر أن هذا السبيل قد بُنِيَ من قِبل "السلطانة مِهْرِمَاهْ" -لكن وبعد فترةٍ من الزمن تعرَّضَ هذا السبيل للحريقِ والتخريبِ والدمار إلى أن توقَّفَ عن العمل تمامًا، فقامَ بعد ذلك أحدُ أولادِ الواقفينَ وهو "إبراهيم بك" ببناءِ هذا السبيل من جديد ليُكَمِّلَ الخيرَ الذي بدأته السلطانة، وليَحِلَّ هذا السبيل الجديدُ محلَّ ذلك القديم(٢٨٩).

* * *

لقد أمَرَتْ "السلطانة مِهْرِمَاهْ" بجلبِ الماءِ خصّيصًا من منطقةِ "كوتشوك كوي" من أجلِ تزويدِ هذا المجمّعِ الخيريّ والحمامِ بالمياهِ اللازمة، وقد استُخْدِمَ هذا الماءُ بعدَ ذلك أيضًا في إمدادِ وتزويدِ جامِعَي "آتيك علي باشا" و"نيشانجي" إلى جانبِ تزويدِ كثيرٍ من الصنابيرِ والمواضئ بالماءِ، وقد ظلَّت قناةُ الماءِ تلك التي جُلِبَتْ من منطقة "أَدِرْنَه قَابِي" مستخدَمَةً حتى ثلاثيناتِ القرن التاسع عشر(٢٩٠).

وفي اللائحةِ التي تُنَظِّمُ عملَ الوقفِ نجد أن هناك اثنين وستين دكّانًا في سوق المجمّعِ الخيريّ، حيث نجدُ أنَّ هناك ثلاثةً وعشرين دكانًا من هذه الدكاكين قد أُنشِئت تحتَ مستوى سطحِ فِناءِ الجامعِ بحيثُ كانت تُجاوِرُ الحوائطَ الشماليّة الشرقيّةَ والشماليّةَ الغربيّةَ من الفِناءِ، ومعنى هذا أن تلك الدكاكين لم يتمّ بناؤها أثناءَ عمليّةِ التجديدِ والترميمِ للجامعِ وإنما هي مبنيّة مع الجامعِ أساسًا، أما الدكاكينُ الأخرى فقد بُنِيَتْ جهة الحمام تحت سطحِ الفِناءِ الخارجيّ، ولقد خُصِّصَت عائدات هذه الدكاكين من المال من أجل الإنفاقِ على المجمَّعِ الخيريّ.

(٢٨٩) كُوبَانْ، المصدر السابق، الجزء الخامس، ص ٤٥٤.

(٢٩٠) كُوبَانْ، المصدر السابق، الجزء الخامس، ص ٤٥٦.

قناةٌ للمياهِ تحتَ الأرضِ بتكلفةِ خمسين مليون في مكة

في العصرِ العثمانيّ كان من الشائعِ أن تكونَ سيّداتُ القصرِ في المقدّمةِ وإلى جانبِهِنَّ زوجات الوزراءِ والولاةِ والأغنياءِ وميسوري الحال وكل شرائح المجتمع بما في ذلك زوجات الفقراء وذلك في مسألةِ التبرُّعِ بما لديهنَّ من عقاراتٍ وممتلكاتٍ ومبالغَ نقديّةٍ لخدمةِ المشروعاتِ الخيريَّةِ، ومن بين هذهِ المشروعاتِ الخيريّةِ كانت تلك الأوقافُ الكبيرةُ التي خُصِّصَتْ من أجلِ خدمةِ الحرمينِ الشريفينِ وتلك الأماكن المقدَّسَةِ التي عاش فيها سيدنا الرسول ﷺ، ولقد استغلت "السلطانة مِهْرِمَاهْ" ببراعةٍ ونشاطٍ الفرصةَ التاريخيَّةَ التي سنحَتْ لها من أجلِ مساعدةِ الناس اللذين يعيشون في تلك البلاد، حيث تمكَّنَتْ من أن تنجزَ خدماتٍ عظيمةً في هذه البقاع المقدسة. (٢٩١)

* * *

وفي السنوات التي تلت ستينيات القرن السادس عشر تعرَّضَت قناةُ المياه التي تسمى "عَيْن زُبَيْدَة"(٢٩٢) -والتي كان قد تمَّ تجهيزُها في مكةَ المكرمةِ من قِبَلِ السيدة "زبيدة" زوجةِ "هارون الرشيد" الخليفةِ العباسيّ- إلى الفيضاناتِ والعواصفِ الرمليّةِ ممّا أدّى إلى عدمِ استعمالِها، وقد بادرَ

(٢٩١) كانت السيدة الأميرة ابنة السلطان " مراد الثاني " هي أولى السيدات من بين نساء القصر العثماني التي تشيّد وتخصّص وقفًا من أجل خدمة الحرمين الشريفين.

(٢٩٢) لقد تمكنت "السيدة زبيدة" التي عرفت أعمالها الخيرية المتعدّدة من أن تجلب المياه من الفرات إلى مكة المكرمة وذلك بعد أن أنفقت ما يوازى مليونًا وسبعمائة ألف قطعة ذهبية في عامي (٨٢٨ – ٨٢٩هـ) وبذلك تكون "السيدة زبيدة" قد استطاعت أن تجد إلى حد ما حل لمشكلة المياه التي كانت تقع سواء في عرفات وقت موسم الحج أو في مكة طوال العام. (مصطفى بيلجه (*Bilge*) " عبن زبيدة "، الموسوعة الإسلامية، هيئة الديانة التركية، إسطنبول – ١٩٩٢م، المجلد الرابع، ص ٢٧٩).

شـريفُ مكّةَ عام (٩٧٠هـ/١٥٦٢م) إلى إرسالِ خطابٍ إلى عاصمةِ الدولةِ العليّـةِ، حيـث عرضَ في هذا الخطابِ تقريرًا حـول ذلك الموضوعِ وأكّدَ على ضرورةِ إصلاحِ مثلِ هذه القنوات، وبناءً على هذا الطلبِ من شريفِ مكّةَ فقد أمرَ "سـليمان القانوني" بما يلزمُ من أجلِ القيامِ بعمليّةِ الإصلاحِ التـي تحتاجُهـا تلك القنـوات، كما أمرَ السـلطانُ كذلكَ بحسـابِ التكلفةِ الماليّةِ اللازمةِ من أجلِ القيامِ بهذهِ المسـألةِ، كما شـكّلَ السلطانُ من أجلِ ذلك لجنةً تضُمُّ قاضي مكة "عبد القادر ابن علي مغربي" ومعه أيضًا "خير الدين بك" القائمُ بأعمالِ جدّة.

وقد قامَ قاضي مكة بعملِ تقريرٍ عرضَهُ على "السـلطان سـليمان" ذكر فيـه أنّـه يلزمُ مبلـغ ثلاثين ألف قطعـة ذهبيّة من أجل إصلاحِ قنواتِ المياه وإزالـةِ العوائـقِ التي تحولُ دونَ ذلك وأيضًا من أجلِ عملِ قنواتٍ جديدةٍ للمياهِ يتمُّ الإعداد لها[٢٩٣].

وعندما وصلَ هذا التقريرُ إلى إسـطنبول قرّرت "السـلطانة مِهْرِمَاهْ" أن تتكفّـلَ بالأمـرِ ولا تحمّل ميزانيةَ الدولة أيّةَ أعباءٍ، فتبرّعت في سـبيل هذا الأمرِ بمبلـغ خمسين ألف قطعة ذهبيّة[٢٩٤] وهو ما يزيدُ عن المبلـغِ اللازمِ مـن أجلِ إجـراءِ الإصلاحـاتِ المطلوبةِ، كما دفعـت "السـلطانة مِهْرِمَاهْ" مبالـغَ من النقودِ الفضّيّةِ إلى دفتردار مصرَ القديم "إبراهيم بك" والذي تمَّ تعيينُهُ ليكونَ مسؤولًا عن تنفيذِ الإصلاحاتِ المُزْمَـعِ إجراؤها.

وقد أسـرعَ "إبراهيم بك" ببناءِ فِناءٍ مسـوَّرٍ من أجلِ إجراءِ التعديلاتِ،

(٢٩٣) مصطفى جُولَرْ (*Güler*)، أوقاف الحرمين في عهد الدولة العثمانية – القرنين السادس عشر والسابع عشر، إسطنبول – ٢٠٠٢م، ص ٦٦.

(٢٩٤) هذا العمل الذي قدر في البداية أنه سيكلّف ثلاثين ألف قطعة ذهبيّة قد تجاوز هذا المبلغ بكثير، وبناء على بعض المصادر فقد تجاوز المبلغ الذي أنفق أكثر حتى من مائة ألف قطعة ذهبية (وهو ما يوازي اليوم حوالي خمسة وعشرين مليون دُولَار).

حيث بلـغَ عددُ المهندسـين العاملينَ في هذا المشـروع أربعمائة مهندسٍ، كمـا اتّسَـعَ نطاقُ العملِ باشـتراكِ العُمّـالِ والخبراءِ ليصلَ عـددُ العاملين فـي مـدَّةٍ وجيـزةٍ إلى ما يزيد عن ألفِ شـخصٍ، واسـتمرَّت هـذه العمليّة التي بدأَتْ من عام (١٥٦٣م) وحتى عام (١٥٧٣م) مدَّةَ عشـرِ سـنواتٍ بلا انقطـاع، وعندمـا لم يكفِ الحديـدُ والصلبُ الخامُ الـذي جُلبَ من مصرَ سـابقًا لأجـلِ البناءِ، فقد طُلِبَتْ كميّةٌ من إسـطنبولَ عـام (١٥٦٨م) لإتمامِ البنـاءِ، كمـا نُقلت باقي المـواد المطلوبةِ إلى مكةَ عن طريـقِ مصرَ، ومـع انتهاءِ عمليَّةِ الإصلاحِ عام (١٥٧٣م) نظَّمَ المفتي "الحسيني" حفلَ افتتاحٍ، دُعِيَ فيه للدولة العثمانية[٢٩٥].

وبعـدَ هـذهِ الجهودِ التي بُذِلَتْ فإنَّ كميّـةَ المياه الذي يتمُّ إيصالُها إلى مكّة المكرمة قد زادت بشـكلٍ واضـح، وذلـك بفضلِ الآبارِ الأخرى التي تمّ توصيلُها بقناة المياه، كما تمَّ عملُ سـبل عامَّةً متنوّعَةً في كلّ مكانٍ من المدينةِ، حيث كانَ يتمُّ توزيـعُ المياهِ على الأحياءِ العديدةِ وبشكلٍ مختلفٍ عمَّـا كان سـابقًا، وعلى هذا النحوِ فإن هذا الإنجازَ لـم يكنْ مجرَّدَ عمليّةِ تجديـدٍ ولكنَّـهُ كانَ في نفسِ الوقتِ عمليَّةَ إحياءٍ وتطويـرٍ لقناةِ المياهِ التي سُمِّيَت "عَيْن زُبَيْدَة"[٢٩٦].

(٢٩٥) مصطفى ل. بيلْجَه (*Bilge*)، " عين زبيدة " الموسوعة الإسلامية، هيئة الديانة التركية، إسطنبول - ١٩٩٢م، الجزء الرابع، ص ٢٧٩-٢٨٠.

(٢٩٦) لقد حمل السلاطين العثمانيون بعد فتح مصر عام (١٥١٧م) لقب " الخليفة " وكذلك لقب حامي الحجاز، وكان مشروع إحياء قناة المياه "عين زبيدة" في زمن السلطان "القانوني" هو أول الأعمال الكبيرة التي قامت بها الدولة العثمانية من أجل توفير المياه في الحرمين الشريفين، وبحلول عام (١٥٢٣م) بلغ الأمر أن قنوات المياه التي توصل مياه الآبار إلى مكة المكرمة قد أصبحت غير مستخدمة على الإطلاق، وقد أبلغ هذا الأمر إلى السلطان "القانوني" الذي كان هو ولي الأمر في ذلك الوقت، وقد أمر السلطان -الذي تدارك المسألة بسرعة- بإصلاح قنوات المياه وكذلك أمر بتوفير المخصّصات النقدية والعينيّة اللازمة، وقد عادت قنوات المياه إلى العمل من جديد عام (١٥٣١م) بعد أن تمّ الانتهاء من عملية الإصلاح والتى امتدت طوال ست سنوات. (مصطفى جولر، أوقاف الحرمين وأهميتها في الدولة العثمانية في القرنين السادس عشر والسابع عشر، بحث دكتوراه، إسطنبول -، ص ٤١- ٤٢).

إن مجـرى الماءِ الذي أنشـأتْهُ السـيّدة "زبيدة" كان بمقـدورِهِ أن يأتيَ بالماء حتى "عرفات" فقط، لكنَّ هذا المَجرى لم يكنْ بمقدورِهِ أن يوصلَ هذا الماءَ إلى الأحياءِ الداخليَّةِ بمدينةِ مكة، أمَّا في عهد "سليمان القانوني" فقـد أمكَـنَ إيصالُ الماءِ إلـى مركزِ مدينةِ مكةَ مخترقًـا الهضابَ الصخريَّةَ التي بين مكة وعرفات، وبهذهِ الصورةِ الجديدةِ تكون قناةُ "عين زبيدة" قد أخذت شكلًا جديدًا ومختلفًا تمامًا عمَّا سبق(٢٩٧).

وقفُ قراءةِ القرآنِ على روح الرسول ﷺ

إلـى جانبِ الأعمـالِ الخيريّةِ الأخرى التي تركتْها "السـلطانة مِهْرِمَاهْ" توجَـدُ سـبعةُ أمورٍ مرتبطةٍ بخدمةِ الحرمينِ الشـريفين، أحـدُ هذهِ الأعمالِ الخيريّـةِ كان إرسـالُها كلَّ عامٍ لمـا يُقَدَّرُ بحوالي ألفين وخمسـمائة قطعةٍ من الذهبِ إلى مكةَ المكرَّمةِ وألفين وخمسـمائة قطعةٍ أخرى إلى المدينةِ المنـوَّرةِ أي مـا يَصِلُ مجموعُهُ إلى خمسـةِ آلاف قطعةٍ من الذهب وذلك بشرطِ أن يتمَّ إرسالُها إلى الحرمين بواسطةِ "أمين المحمل الشريف"(٢٩٨)، وكان يتـمُّ توزيـعُ هذه الأمـوالِ على أشـدِّ الناسِ فقرًا من خـلالِ القضاةِ وعلماءٍ من المذاهبِ الأربعةِ(٢٩٩).

كذلك نجد في لائحة أخرى للوقف أن "السلطانة مِهْرِمَاهْ" كانت ترسل كذلك بواسـطة "أمين المحمل الشـريف" ثلاثمائةِ عملـةٍ معدنيّةٍ من عائدِ

(٢٩٧) جُولَز، المصدر السابق، ص ٦٦.

(٢٩٨) كان هناك شخص يشغل وظيفةَ إحضار الهدايا والنقود التي يرسلها السلاطين العثمانيون كل عام في وقت الحج من أجل التوزيع على أهالي الحرمين حيث كان يتم جلبها في صورة أفواج مرتبة تأتي من إسطنبول إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة حيث توزع هذه الهدايا والأموال كأمانات من قبل ذلك الشخص.

(٢٩٩) ف. جَانْجُوزَلْ (*Cangüzel*) ذو الفقار، " دراسة عن الأوقاف الخاصة ب"السلطانة مِهْرِمَاهْ"، بحث ماجستير، أنقرة – ١٩٨٩م، ص ٤٩.

الأراضي التي كانت تمتلكُها في المكانِ الذي يُعرَفُ باسم "تَاتَارْ بَازَارِي (*Tatar Pazarı*)" والتي حوَّلَتْها لتكونَ من الأوقافِ، وكان هناك شرطُ أن يتمَّ توزيعُ هذهِ الأموالِ بشكلٍ متساوٍ على الفقراءِ وأصحابِ الحاجةِ والمساكينِ والعَجَزَةِ في كلٍّ من مكةَ المكرَّمَةِ والمدينةِ المنوَّرَةِ[٣٠٠].

بالإضافةِ إلى ذلك فقد خَصّصَتْ السلطانةُ مبلغَ مائةٍ وتسعةٍ وثمانين عملةٍ فضّيّةٍ لتُوَزَّعَ على ثلاثةٍ وتسعين شخصًا يُوَظَّفُ في مكّةَ والمدينةِ وخليلِ الرحمن حيثُ كان منهم تسعةً وثمانين قارئًا للقرآن وثلاثةٌ بدرجةِ رئيسِ القرَّاءِ وثلاثةٌ يعملونَ في ضبطِ النصِّ القرآنيّ وتشكيلِهِ وثلاثةٌ يعملون كمشرفينَ، وقد جعلت السلطانةُ هذا المبلغَ يُوَزَّعُ عليهم في شكلِ قطعتينِ من النقودِ الفضّيّةِ لكلٍّ منهم[٣٠١].

* * *

كذلك فقد رغِبَتْ "السلطانة مِهْرِمَاهْ" في أن يُمنحَ عشرُ قِطَعٍ ذهبيّةٍ لثلاثين قارئٍ من خيرة القرّاء العلماء المطبّقين لقواعد التجويد والترتيل وذلك مقابلَ أن يقرأَ كلٌّ منهم عند مقام نبيّ الله إبراهيم عليه السلام جزءًا من القرآنِ عقِبَ صلاةِ الظهرِ يوميًّا، ويهبَ ثوابَ قراءَتِهِ إلى روحِ "السلطانة مِهْرِمَاهْ" صاحبةِ هذا الوقف.

كذلك فقد كان هناك ثلاثون شخصًا يختمون قراءَةَ القرآن في المسجد النبويّ بالمدينة المنورة والذين رغبت "السلطانة مِهْرِمَاهْ" في أن يتمَّ إعطاؤهم عشر قِطَعٍ ذهبيَّةٍ نظيرَ أن يتمَّ وهبُ ثوابِ عشرةِ أجزاءٍ من التي يقرأونَهَا من القرآنِ إلى روحِ سيدنا النبيّ محمد ﷺ وَوَهْبُ أيضًا

(٣٠٠) جُولَز، المصدر السابق، ص ١٠٣.

(٣٠١) ذو الفقار، المصدر السابق، ص ٧١.

ثـواب عشـرةِ أجـزاء أخرى إلـى روحِ أصحابِه، أمَّـا ثوابُ العشـرةِ أجزاءِ الأخيـرةِ مـن القرآن فيتمُّ وهبُهـا إلى روحِ صاحبةِ الوقف -أي "السـلطانة مِهْرِمَاهْ"-.(٣٠٢)

* * *

لقـد كانَ سـلاطينُ الدولةِ العثمانيَّةِ والسـلطاناتُ كذلكَ يُرسِـلُون في الغالـبِ مـن ينوبُ عنهم مـن أجلِ أداءِ فريضـةِ الحجّ، وبسـببِ ما كانت تقتضيـهِ رحلـةُ الحجّ من وقتٍ يتـراوحُ بين الثلاثةِ والأربعةِ شـهورٍ كانت تستغرقُها المسافةُ من إسطنبولَ إلى مكةَ المكرمة نظرًا لظروفِ وإمكاناتِ السـفرِ في ذلـك العصرِ، فقد كان من الصعبِ بقاءُ السـلاطين بعيدينَ عن مركـزِ الدولـةِ لمـدَّةٍ طويلـةٍ بهذا الشـكل، وقد أفتـى لهم العلمـاء بأنَّ في إمكانِهِـم أن يُـؤَدُّوا فريضـةَ الحـجّ عن طريقِ توكيلِ شـخصٍ آخـرَ للقيام بتلك الفريضةِ نيابةً عنهم، وهكذا فقد تمكَّنَ السلاطين وزوجاتُهم من أداءِ الحجّ عن طريقِ الوكالةِ مستندين إلى تلك الفتوى، بالإضافة إلى ذلكَ فقد قامَ السـلاطينُ والسـلطاناتُ بإقامةِ الأوقافِ من أجلِ أن يتمَّ الحجُّ بالنيابةِ عنهم كلَّ سنةٍ، فنجدُ أنَّ "السلطانة مِهْرِمَاهْ" قد وظَّفَتْ ثلاثةَ أشخاصٍ لكي يقوموا بالحجّ نيابةً عنها، وقد خَصَّصَتْ لكلِّ واحدٍ منهم مبلـغَ ستّةِ آلافِ قطعةٍ فضّيّةٍ سنويًا، وبذلك يكونُ مجموعُ المبلـغِ الذي خصَّصَتْهُ "السلطانة مِهْرِمَاهْ" لذلك الغَرَضِ ثمانية عشر ألف قطعةٍ فضّيّة في السنة(٣٠٣).

(٣٠٢) ذو الفقار، المصدر السابق، ص ٤٨.

(٣٠٣) جُولَز، المصدر السابق، ص ١٤١.

المصادر

Ak, Mahmud, "Vakıf Kurucusu Bir Hanım: Mihrimah Sultan ", Vakıflar Dergisi, Ankara, 2006, (Özel sayı: Vakıf Medeniyeti Yılı).

محمود آق، "السيدة مؤسسة الوقف: "السلطانة مِهْرِمَاهْ"، مجلة الأوقاف، أنقره – (٢٠٠٦م)، (عدد خاص: عام ثقافة الوقف).

Akçay, İlhan, Ayasofya Camii, Ankara, 1968.

إِلْحَانْ آَقْجَايْ، "جامع أياصوفيا"، أنقره – (١٩٦٨م).

Akgündüz, Ahmed-Öztürk, Said, Kiliseden müzeye Ayasofya Camii, İstanbul, 2006.

أحمد آَقْكُونْدُوزْ – سعيد أوزتورك، "جامع أياصوفيا من الكنيسة إلى المتحف"، إسطنبول، (٢٠٠٦م).

Aksun, Ziya Nur, Osmanlı Tarihi, İstanbul, 1994, C.I.

ضيانور أَكْسُونْ، التاريخ العثماني، إسطنبول – (١٩٩٤م)، المجلد الأول.

Aktaş, Ali, Türk Dünyası Tarih Dergisi, İstanbul, 1987.

علي آقتاش، مجلة العالم التركي التاريخية، إسطنبول – (١٩٨٧م).

Baltacı, Cahit, "Hürrem Sultan ", DİA, İstanbul, 1998, C.XVIII.

جاهد بَلْطَجِي، "السلطانة خُرَّم"، الموسوعة الإسلامية، هيئة الديانة التركية، إسطنبول، (١٩٩٨م)، الجزء الثامن عشر.

Bayat, Ali Haydar, "Hafsa Sultan ", DİA., İstanbul, 1997, C.XV.

علي حَيْدَرْ بَيَاتْ، السلطانة حَفْصَة، الموسوعة الإسلامية، هيئة الديانة التركية، إسطنبول – (١٩٩٧م)، الجزء التاسع.

Baykal, A. Nur, "Hürrem Sultan ", Popüler Tarih, 2001, C.II.

أ. نور بيقال، "السلطانة خُرّم"، مجلة "التاريخ الشعبي"، (٢٠٠١م)، الجزء الثاني، العدد ١٦.

Baykal, A.Nur, 'Hürrem Sultan'ı Kanunî mi öldürttü? ", Popüler Tarih, 2004, C.IV.

أ. نـور بيقـال، "هـل جعلت "السـلطانة خُـرّم" زوجهـا القانوني قاتـلا؟"، التاريخ الشـعبى، (٢٠٠٤م)، الجزء الرابـع، العدد ٤٤.

Baysun, Cavit, 'Mihr ü mâh Sultan ", MEB İslâm Ansiklɔpedisi, İstanbul, 1960, C.VIII.

جَاوِيتْ بَايْسُونْ، "السلطانة مهرماه"، وزارة التربية والتعليم، الموسوعة الاسلامية، إسطنبول – (١٩٦٠م) الجزء الثامن.

Bilge, Mustɔfa L., Aynızübeyde ", DİA, İstanbul, 1992, C.IV.

مصطفـى ل. بِيلْجَـه، "عين زبيدة" الموسـوعة الإسـلامية، هيئة الديانة التركية، إسـطنبول – (١٩٩٢م)، الجزء الرابـع.

Bozdağ, Fahrettin, 'Sıbyan Mektepleri ", VIII. Eyüp Sultan Sempozyumu Tebliğler, İstanbul, 2004.

فخر الدين بُوزْدَاغْ، مدارس الصبيان، الجزء الثامن من اصدارات ندوة السـلطان " أيوب "، إسطنبول. (٢٠٠٤م).

Busbecq, Ogler G. de, Kanunî Devrinde bir Sɛfirin Hatıraları, Ankara, 1953.

أولجر ج.دي بوسبيك، " ذكريات سفير في عهد "القانوني"، أنقره، (١٩٥٣م).

Carım, Fuad, Kanunî Devrinde İstanbul, İstanbul, 1964.

ترجمة: فؤاد جَارِمْ، إسطنبول في عصر القانوني، إسطنبول – (١٩٦٤م).

Cezar, Mustɔfa, "Osmanlı Devrinde İstanbul Yapılarında Tahribat Yapan Yangınlar ve Tâbîî Âfetler ", Türk Sanatı Tarihi Araştırmalar ve İncelemeleri I, İstanbul, 1963.

مصطفـى جَـزَارْ، الكـوارث الطبيعيـة والحرائـق التي دمـرت المبانى في مدينة إسـطنبول قـى العصـر العثماني، بحوث ودراسـات تاريخية عـن الفن التركى الجزء الأول، إسـطنبول – (١٩٦٣م).

Çam, Nusret, Osmanlı Güneş Saatleri, Ankara 1990.

نُصْرَتْ جَامْ، الساعات الشمسية العثمانية، أنقره، (١٩٩٠م).

Danişmend, İ.Hami, İzahlı Osmanlı Tarihi Kronolcjisi, İstanbul, 1961, C.II.

إسماعيل حامى دَانِشْمَنْد، التسلسل الزمنى المشروح للتاريخ العثماني، إسطنبول، (١٩٦١م). الجزء الثاني.

Demiriz, Yıldız, "Üsküdar'da Mihrimah Sultan Camii ", Sanat Dünyamız, İstanbul, 1980, C.IV.

يِلْدِيـزْ دَمِيرْإِيـزْ، جامـع "السـلطانة مِهْرِمَـاهْ" في أسـكودار، دار نشـر " صنعـت دنياماظ "، إسطنبول، (١٩٨٠م)، الجزء الرابع، العدد ٢٠.

Doğan, Sema, 'Haseki Külliyesi ", DİA, İstanbul, 1997, C.XVI.

سَـمَا دُوغَانْ، "مجمـع خَاصَكِي"، الموسـوعة الإسـلامية، هيئة الديانة التركية، إسـطنبول – (٢٠٠٣م)، الجزء السادس عشر.

Eyice, Semavi, 'Edirnekapı Camii ve Külliyesi ", İstanbul, 1994, DİA, C.X.

سَـمَاوِي أَيِجَه، "مجمـع وجامـع أَدْرْنَه قَابِي"، الموسـوعة الإسـلامية، هيئـة الديانة التركية، إسطنبول – (١٩٩٤م)، الجزء العاشر.

Eyice, Semavi, 'Haseki Hamamı ", İstanbul, 1991, C.IV.

سَمَاوِي أَيِجَه، "حمام خَاصَكِي"، إسطنبول، (١٩٩١م)، الجزء الرابع.

Güler, Mustcfa, Osmanlı Devleti'nde Haremeyn Vakfları (XVI. ve XVII. Yüzyıllar), İstanbul, 2002.

مصطفى جُولَر، أوقاف الحرمين في عهد الدولة العثمانية – القرنين السادس عشر والسابع عشر، إسطنبول –(٢٠٠٢م).

Gökbilgin, Tayyib, 'Hurrem Sultan ", MEB. İslâm Ansiklopedisi, İstanbul, 1964, C.V-I.

طَيّب جُوكْبِيلْجِينْ، "السلطانة خرم"، وزارة التربية والتعليم، الموسوعة الاسلامية، إسطنبول – (١٩٦٤م)، الجزء الخامس.

Haskan, M. Nermi, Yüzyıllar Boyunca Üsküdar, İstanbul, 2001, C.I.

م. نَرْمِي حَصْكَانْ، أسكودار على مر العصور، إسطنبول– (٢٠٠١م). الجزء الأول.

Hasırcıoğlu, Talat, 'Osmanlı sarayında saltanat süren kadınlardan Hürrem Sultan ", Resimli Tarih Mecmuası, İstanbul, 1956.

طَلْعَـت حَصِرْجِـي أُوغْلُـو، "السـلطانة خُـرَّم" بين سـيدات القصر العثمانـي اللاتي حكمن السلطنة، المجموعة التاريخية المصورة، إسطنبول، (١٩٥٦م)، الجزء السابع، العدد، ٧٣.

Kangal, Selmin, Savaş ve Barış, 15-19 yüzyıl Osmanlı-Lehistan Münasebetleri, Vakıflar Dergisi, Ankara, 2006, Özel Sayı.

سَـلْمِينْ كَنْجَالْ، الحرب والسلام، العلاقات البولنديةالعثمانية في الفترة من القرن الخامس عشر وحتى القرن التاسع عشر، مجلة الأوقاف، عدد خاص، أنقره -(٢٠٠٦م).

Kanunî Sultan Süleyman, 'Hürrem Sultan'a Gazel ", COGİTO, İstanbul, 1995.

سـلطان سليمان القانوني، " أشعار غزلية للسـلطانة "خُرّم"، منشورات *COGİTO*، إسطنبول، (١٩٩٥م)، العدد: ٤.

Komisyon, Fatih Camileri ve Diğer Tarihî Eserler, İstanbul, 1991.

لجنة، جوامع "فاتح" والآثار التاريخية الأخرى، إسطنبول – (١٩٩١م).

إسـماعيل حقي قُونْيَالِي، تاريخ "أسـكودار" مع الآثـار والكتابات المدونة، إسـطنبول – (١٩٧٦م)، الجزء الأول.

Kuban, Doğan, 'Haseki Külliyesi ", Dünden Bugüne İstanbul Ansiklopedisi, İstanbul, 2003, C.IV.

دُوغَـانْ كُوبَـانْ، "مجمع خَاصَكِي" موسـوعة إسـطنبول من الأمس إلى اليوم، إسـطنبول - (٢٠٠٣م)، الجزء الرابع.

Kuban, Doğan, "Mihrimah Sultan Külliyesi ", Dünden Bugüne İstanbul Ansiklopedisi, İstanbul, 1994, C.V.

دُوغَانْ كُوبَان، "مجمع مهرماه سلطان"، موسوعة إسطنبول من الأمس إلى اليوم، إسطنبول - (١٩٩٤م)، الجزء الخامس.

Kuran, Abdullah, "Üsküdar'da Mihrimah Sultan Külliyesi ", Boğaziçi Üniversitesi Dergisi, İstanbul, 1975, C.III.

عبـد الله كُـورَانْ، "مجمع السـلطانة مِهْرِمَـاهْ في أسـكودار"، مجلة جامعـة " بُوغَازْإِيجِي "، إسطنبول، (١٩٧٥م)، الجزء الثالث.

Kütükoğlu, Mübahat S., XX. Asra Erişen İstanbul Medreseleri, Ankara, 2000.

مُوبَاحَـاتْ كُوتُـوكْ أُوغْلُـو، "مدارس إسـطنبول التي بقيـت حتى القرن العشـرين"، أنقره – (٢٠٠٠)م.

Mehmed Hemdemî Çelebi, Solakzâde Tarihi, Ankara, 1989, C.II.

محمد هَمْدَمِي شَلَبِي، تاريخ صُولَاكْ زَادَه، أنقره - (١٩٨٩م)، المجلد الثاني.

Natshe, Yusıf Said, My Memories of Khassaki Sultan or The The Flourishing Edifice ", (Muhteşem Âbide, Haseki Sultan İmareti ile ilgili Hatıralarım) Kudüs, 2000.

يوسف أفندى ناتشي، " الأثر العظيم، ذكرياتي مع دار السلطانة خَاصَكِي لإطعام المحتاجين (My Memories of Khassaki Sultan or The The Flourishing Edifice)"، القدس، (٢٠٠٠م).

Orman, İsmail, 'Mihrimah Sultan Külliyesi ", DİA, İstanbul, 2005, C.XXX.

إسماعيل أُورْمَانْ، "مجمع السلطانة مِهْرِمَاهْ"، الموسوعة الإسلامية، هيئة الديانة التركية، إسطنبول –(٢٠٠٥م)، الجزء الثلاثون.

Ölçer, Nazan, 'Bir Savaşın ve Barışın Sergisi ", Savaş ve Barış, 15-19 yüzyıl Osmanlı-Lehistan Münasebetleri, Vakıflar Dergisi Özel Sayı, Ankara, 2006.

نَازَانْ أُولْجَرْ، معرض حرب وسلام، الحرب والسلام، العلاقات البولنديةالعثمانية في الفترة من القرن الخامس عشر وحتى القرن التاسع عشر، مجلة الأوقاف، عدد خاص، أنقره، ٢٠٠٦م).

Özer, Deniz, 'Hürrem Sultan'ın gazabına uğrayan bir sadrazam ", Türk Dünyası Tarih Dergisi, İstanbul, 1988.

دنيز أوزر، الصدر الأعظم الذي غضبت عليه السلاطنة "خُرَّم"، مجلة العالم التركى التاريخية، إسطنبول – (١٩٨٨م)، العدد رقم ٢٤.

Özdemir, Mehmed Niyazi, Türk Tarih Felsefesi, İstanbul, 2008.

محمد نِيَازِي أُوزْدَمِيرْ، فلسفة التاريخ التركي، إسطنبول – (٢٠٠٨م).

Özkeçeci, İlhan, "Üsküdar Mihrimah Sultan Camii ve Külliye İçindeki Türbelerin Süsleme Programı Üzerine Bir Değerlendirme ", Uluslar arası Üsküdar Sempozyumu, İstanbul, 2008, C.II.

إِلْخَانْ أُوزْكَجَجِي، نظرة على شكل الزينة في الأضرحة الموجودة بمجمع وجامع "السلطانة مِهْرِمَاهْ" بمنطقة "أسكودار"، الندوة الدولية عن "أسكودار". إسطنبول – (٢٠٠٨) م. الجزء الثاني.

Öztuna, Yılmaz, Osmanlı Devleti Tarihi, Ankara, 1998, C.I.

يِلْمَازْ أُوزْتُونَا، تاريخ الدولة العثمانية، أنقرة – (١٩٩٨م)، المجلد الأول.

Öztuna, Yılmaz, Türkiye Tarihi, C.VI.

يِلْمَازْ أُوزْتُونَا، تاريخ تركيا، الجزء السادس.

Sakaoğlu, Necdet, Mihrimah Sultan ",Dünden Bugüne İstanbul Ansiklopedisi, İstanbul, 1994, C.V.

نَجْدَتْ صَقَا أُوغْلُو، "السلطانة مِهْرِمَاهْ"، موسوعة إسطنبول من الأمس إلى اليوم، إسطنبول – (١٩٩٤م)، الجزء الخامس.

Sınger, Amy, Osmanlı'da Hayırseverlik, İstanbul 2004.

أمي سنجر، الأعمال الخيرية في العصر العثماني، إسطنبول، (٢٠٠٤م).

Şehsuvaroğlu, Haluk, Asırlar Boyunca İstanbul, Cumhuriyet Gazetesi'nin Tarih İlavesi.

هَالُوكْ شَاهْسُوفَارْ أُوغْلُو، إسطنبول على مر العصور، الملحق التاريخى لجريدة الجمهورية.

Tanışık, İbrahim Hilmi, İstanbul Çeşmeleri, İstanbul 1943, C. I.

إبرهيم حلمي طَانِيشِيكْ، سُبل إسطنبول، إسطنبول– (١٩٤٣م)، الجزء الأول.

Tanman, M. Baha, Haseki Hamamı ", Dünden Bugüne İstanbul Ansiklopedisi, İstanbul, 2003, C.IV.

م. بَاهَا طَانْمَانْ، "حمام خَاصَكِي"، موسوعة إسطنبول من الأمس إلى اليوم، (٢٠٠٣م). الجزء الرابع.

Taşkıran, Nimet, Hasekinin Kitabı, İstanbul, 1972.

نِعْمَة طَاشْكِيرَانْ، كتاب "حصاكي"، إسطنبول – (١٩٧٢م).

Togan, A. Zeki Velidi, Tarihte Usul, İstanbul, 1985.

أ.دأحمد ذكي وليدي تُوجَانْ، "الأساس في التاريخ"، إسطنبول – (١٩٨٥م).

Uçtum, Nєjat R., 'Hürrem ve Mihrimah Sultanların Polonya Kralı II. 'a yazdıkları mektuplar ", Belleten, 1980, C.XLIV.

نَجَاة ر. أُوجْتُومْ، الرسائل المكتوبة من قبل السلطانتين "خُرّم" و"مِهْرِمَاهْ" إلى ملك بولندا زيجموند الثاني، دورية علمية، (١٩٨٠م)، الجزء الرابع والأربعون، العدد، ١٧٥.

Uluçay, Çağatay, Osmanlı Sultanlarına Aşk Mektupları, İstanbul, 2001.

جَاغَاتَايْ أُولُوجَايْ، رسائل العشق للسلاطين العثمانيين، إسطنبول – (٢٠٠١م).

Uluçay, Çağatay, Padişahların Kadınları ve Kızları, Ankara, 1980.

جَغَطَايْأُولُوجَايْ، نساء وبنات السلاطين، أَنْقَرَه، (١٩٨٠م).

Uzunçarşılı, İ.Hakkı, Osmanlı Tarihi, Ankara, 1975, C.II.

إسماعيل حقي أُوزُونْ جَارْشِيلِي، التاريخ العثماني، أنقره، (١٩٧٥م)، المجلد الثاني.

Yıldırım, Nuran, "Haseki Dârüşşifası ve Hastanesi ", Dünden Bugüne İstanbul Ansiklopedisi, İstanbul, 2003, C.IV.

نُورَانْ يِلْدِيرِمْ، "مستشفى ومستوصف خَاصَكِي"، موسوعة إسطنبول من الأمس إلى اليوم، إسطنبول – (٢٠٠٣م)، الجزء الرابع.

Yücel Erdem, 'Edirnekapısı Camii ", İstanbul Ansiklopedisi, İstanbul, 1968, C.IX,

أَرْدَمْ يُوجَلْ، "جامع أَدِرْنَه قَابِي"، موسوعة إسطنبول، إسطنبول – (١٩٦٨م)، الجزء التاسع.

Züfikâr, F. Cangüzel Mihrimah Sultan'ın VGMA'da bulunan Vakfiyelerinin Değerlendirilmesi, Yüksek Lisans Tezi, Ankara, 1989.

ف. جَانْجُوزَلْ ذو الفقار، "دراسة عن الأوقاف الخاصة بـ"السلطانة مِهْرِمَاهْ"، بحث ماجستير، أنقره – (١٩٨٩م).